



الفصل الرابع

الوقفة الواجبة والرؤية الواعدة

الوقفة الواجبة والرؤية الواعدة

أولاً: فتح ومشروع التسوية:

"أروقية من الخبرة تساوي أكثر من طن من اللوعظ"

(المهاتما غاندي)

عندما نتحدث عن الرصاصة الأولى التي انطلقت سنة 1965 ضد الاحتلال الصهيوني فإننا نتحدث عن حركة فتح، وعندما نتحدث عن اتفاقية أوسلو سنة 1993 وبدء مشروع التسوية مع الكيان الصهيوني على أساس الاعتراف بدولة الاحتلال ونبذ العنف فإننا أيضاً نتحدث عن حركة فتح، مما يجعلنا نقف أمام تجربة زمنية كبيرة حملت في طياتها مسارين متناقضين كان المؤسس ياسر عرفات "أبو عمار" يقف على رأسهما.

يقول د. موسى أبو مرزوق:

لاشك أنَّ أبو عمار ومن عمل معه من أجل القضية الفلسطينية اجتهدوا بوطنية ومسؤولية كبيرة، لكنه أخطأ في السياسة والتصور، هذا كله أدى إلى جملة من النتائج السلبية أبرزها الانقسام الفلسطيني الداخلي، لأنك إذا أردت أن تُقيم شيئاً لا بدّ أنْ تنظر إلى البدايات وأهدافها، والنهايات ونتائجها، وما بين هذا وذاك من محطات مهمة. انطلقت حركة فتح في ظلّ المشروع الوطني الحديث، وكانت الضفة الغربية وقطاع غزة خالية من الاحتلال الصهيوني، وتحت كلمات التوريط صارت حرباً بين الطرفين فاحتلت الضفة وغزة، ثم أصبح اشتباكاً مع الحركة الوطنية في الأردن، والمفروض أن تكون المعركة مع الاحتلال لا مع النظام الأردني.

عموماً اشترك في المعركة الإقليم كله، بدون تفصيلات خرجت الثورة سنة 1970 إلى لبنان، في لبنان أخذت الثورة موقعاً كبيراً بسبب الحركة الوطنية اللبنانية وترحيبها؛ فهُزمت في بعض المعارك التي خاضتها في الجنوب، وقدمت في الحرب الأهلية اللبنانية 150 ألف شهيد، والثورة الفلسطينية قدمت أيضاً أكثر من 100 ألف شهيد، إذ قدم مخيم صبرا وشاتيلا لوحده 3,500 شهيد. ثم خرجت

منظمة التحرير من بيروت، وتشتت في الدول العربية، وهذا يُعطيك حجم الفشل ومستوياته التي وقعت منظمة التحرير فيه؛ لقد فشلت في السياسة، فمسيرتهم مرت بتنازلات مختلفة حتى أنقذوا أنفسهم في اتفاقية أوسلو، التي ما هي إلا مشروع انتقل إلى عبء الخصم، وما تم توقيعه على الورق فرح الإسرائيليون به، وعدّوه مصيدة كبيرة؛ لأنها حققت لهم شيئاً مهماً، لا سيّما ونحن نتحدث عن زعامات ثورية جاءت بقدميها تحت نظر الاحتلال وقوته التي تتحكم بمفاصل الأرض وأزقتها، ففي اتفاقيات كامب ديفيد كان ميلاد "إسرائيل" الثاني، حيث عُزلت مصر عن القضية الفلسطينية، وفي اتفاقية أوسلو عُزلت فتح عن المجموع الوطني.

اتفاقية أوسلو:

جاءت الاتفاقية في ظروف غامضة، لا يعلم أحد عنها شيئاً، فقد ظهرت فجأة دون مقدمات سابقة أو مؤشرات وإضحة، فالحديث كان يدور عن جهود تُبذل في مدريد، وبالتالي كانت الأنظار تُراقب الصورة التي تبحث عن حلول للقضية الفلسطينية هناك. لا يوجد أحد لديه صيغة علنية أو سرية عن الاتفاقية قبل التوقيع اطلاقاً، حتى أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير أو اللجنة المركزية لفتح لم يكونوا على علم بها، الذي كان على دراية بالاتفاقية فقط محمود عباس "أبو مازن" وفريقه، ثم أقنعوا أبو عمار حتى يتبناها، وبعد أنْ مُورس ضغط على أبو عمار وافق عليها، وبعد الموافقة والتوقيع تمّ طرحها على مركزية فتح واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير. وأعتقد أنَّ ضغوطاً كبيرة مورست على بعض أعضاء مركزية فتح، أعرف بعض المعترضين مثل الأخ أبو كرش، وهاني الحسن، كانوا معترضين بشدة على الاتفاقية، غير أنهم صوتوا بالموافقة في أثناء عملية التصويت في اللجنة المركزية للحركة، وهنا يحق لنا أن نتساءل عن السر الذي دفعهم لذلك! لماذا كانوا معارضين ثم أصبحوا موافقين؟ لقد جلستُ معهم قبل التصويت وكان الرفض قوياً والاستنكار قاطعاً! وبعد موافقة فتح ثم م.ت.ف ذهبت الاتفاقية إلى الكنيست الإسرائيلي للموافقة عليها، ثم ذهب أبو عمار ومحمود عباس للتوقيع في واشنطن. لقد كانت لحظات عصيبة انتقلنا فيها كفلسطينيين من مرحلة إلى أخرى، مع العلم أن جميع المراحل التي انتقلنا إليها كانت أكبر من قدراتنا، ومعظم القضايا تدار من وراء جهدنا، وبالتالي صار المحتل يتعامل مع السلطة ورئاستها حسب مصلحته الخاصة، لم يعد مهتماً للتفاصيل الموجودة على الورق، لم يعد لها قيمة، وعليه؛ فقد ابتلعت الضفة الغربية من قبل المستوطنين، وحُوصر قطاع غزة بطريقة محكمة، وهذا نتيجة الخطأ الاستراتيجي التي وقعت فيه حركة فتح ومنظمة التحرير وياسر عرفات والسلطة الفلسطينية، وبعد مرور تسعة أعوام على اتفاقية أوسلو وملحقاتها، سألتُ أبو علاء قريع، في حضور الوزير عمر سليمان، كم مرة التزمت "إسرائيل" بما وقعت عليه، فأقسم ولا مرة واحدة، وهنا ذكرته بالآية الكريمة، "كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم". أ

الشعوب تصنع الثورات:

الانتفاضات أو الثورات ليست صناعة حزبية، وليست صناعة شخصية، بل هي حراك شعبي يقف خلفه جميع مكونات المجتمع، لذلك لو تنكّب حزب أو شخص عن طريقها، فإنها ستبقى مستمرة، وإذا انضم لها حزب جديد أيضاً لن يؤثر على قوة جذوتها، حتى لو كان الحزب بحجم حركة حماس أو حركة فتح.

في عُرف الانتفاضات الشعبية أنَّ الذي يتركها هو الذي يخسر، وأنَّ الانتفاضات الشعبية تبقى دائماً منتصرة، وأنَّ الانتفاضات لا تصبح انتفاضة إلا إذا شارك فيها جميع فئات المجتمع من شباب ورجال ونساء وأطفال وشيوخ ومؤسسات مجتمع مدني وأُطر مُسيسة وغير مُسيسة، وجميعهم يحمل الهدف ذاته؛ الانتفاضة الأولى كان هدفها "إزاحة الاحتلال" والانتفاضة الثانية كان هدفها "حماية المسجد الأقصى". وكان الشعب الفلسطيني بأكمله يركض باتجاه الهدف المنشود. لذلك لا يستطيع أحد أن يدعى أنه يقف خلف الانتفاضات

مقابلة مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2012. (بتصرف)

لوحده، حتى حماس نفسها لا تستطيع أن تدعي ذلك؛ فهي تُمثل جزءاً من الشعب الفلسطيني، وهذا الأمر ينطبق تماماً على التنظيمات الأخرى بما فيها حركة فتح، وأنَّ أبو جهاد رحمه الله لم يكن موفقاً عندما قال إنَّ حركته هي من صنعت الانتفاضة الأولى، كما لم تكن فتح هي الرصاصة الأولى، فمقولة الرصاصة الأولى، وأول الحجارة، فيها ظلم لشعب ناضل بكل إمكاناته منذ ثورة البراق ثم ثورة القسام مروراً بالإضراب الأشهر في العالم والثورة الكبرى، ثم الحرب الفدائية بقيادة مصطفى حافظ وغيرها.

الحقيقة أنَّ فتح كانت جزءاً من الانتفاضة وليست مَنْ صَنعَ الانتفاضة؛ لأنها من إبداع الشعب وليس من صناعة التنظيمات، وإنْ كانت التنظيمات لحقت بإرادة الشعب، فإنَّ الشعب هو الذي سمح لها أنْ تُعيد تشكل ذاتها من خلال اندفاعه الوقاد، وإرادته الوثابة، لقد كان وقوداً لقضيته العادلة، ولأهدافه النبيلة. الشيء نفسه حصل في انتفاضة الأقصى، فالانتفاضة الأولى اشتعلت بحادثة "الشاحنة الكبيرة"، والثانية اشتعلت بغطرسة شارون عندما دخل المسجد الأقصى متحدياً لمشاعر المسلمين ومقدساتهم التاريخية، ثم صب جنوده الزيت على النار وقاموا بعمليات قتل واضحة للفلسطينيين، ومن هنا بدأ التمرد شيئاً فشيئاً، واستجاب أبو عمار لهذا التوجه، بهدف تحسين ظروفه التفاوضية. ولم يكن يتطلع في حينه إلى انتفاضة ذات رؤية استراتيجية، لأنَّ الانتفاضة الشعبية ليست مشكلة للاحتلال فقط، بل مشكلة للسلطة الفلسطينية أيضاً، نظراً لخروجها عن دائرة السيطرة والتأثير، وبالتالي تُصبح السلطة فاقدة للوجود. لذلك حرص أبو عمار على ألا تخرج الانتفاضة عن دائرة "الكنترول" الذي يضمن السيطرة، وتحسين شروط التفاوض، ومن هنا سمح ومول ودفع أشخاصاً للانخراط في المقاومة

 $^{^2}$ انظر: مقابلة مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2012.

أبو عمار والانتفاضة الثانية:

بعد أن شعر ياسر عرفات رحمه الله بحجم الأزمة التي وصل إليها من خلال اتفاقية أوسلو، وبعد أن أيقن بمماطلة الاحتلال وعدم جديته تجاه الدولة المستقلة التي وُعدَ بها، قرر أن يُحرك المياه الراكدة من خلال مقاومة مسلحة تدفع "إسرائيل" لطاولة المفاوضات التي قد يُثير من خلالها مطالبه التي جاءت على ورق اتفاقية أوسلو، فأوعز إلى كتائب شهداء الأقصى عن طريق مروان البرغوثي بجلب السلاح، ومواجهة قوات الاحتلال بالعمليات العسكرية، وفعلاً اكتسبت عمليات المواجهة زخماً كبيراً، خصوصاً بعد اعتداء شارون على المسجد الأقصى، واقتحامه لباحات المسجد الطاهرة، الحادث الذي استفر مشاعر الفلسطينين على وجه الخصوص بطريقة أشعلت انتفاضة الأقصى، وزادت من شعبيتها.

يقول د. موسى أبو مرزوق:

دخلت حركة حماس كغيرها من الفصائل الفلسطينية في فعاليات الانتفاضة الثانية، إلا أنَّ دخول أبو عمار في الانتفاضة كان الأهم؛ فلو لم يدخل أبو عمار لحدث صدام كبير بين حماس وآخرين والسلطة، ولانعدمت أي فرصة للانتفاضة، وبالتالي سينصرف الناس عن الاشتباك مع العدو، وستصبح ديمومة الانتفاضة في عداد الأموات؛ فالوحدة الفلسطينية من أهم العوامل التي بإمكانها أن تُنجح أي حراك ضد الاحتلال الصهيوني، ولا بدّ أن تكون عناصر الوحدة مكتملة، فأي خلاف بين القوى الفلسطينية أو برامجها السياسية يؤدي إلى إنهاء الانتفاضة فوراً، وهذا الذي حصل في الانتفاضة الفلسطينية الأولى، فعندما أصبح لحركة فتح وبعض الفصائل الفلسطينية التابعة لمنظمة التحرير برنامج سياسي قوامه فتح وبعض الفصائل الفلسطينية التابعة لمنظمة التحرير برنامج سياسي قوامه في المقاومة المسلحة، انقسم المجتمع الفلسطيني بين مسارين متناقضين، وتوقفت في المقاضة الفلسطينية، وإن كان التوقف ليس بإرادة شعبية إلا أنها انتهت بطريقة تدريجية، وهذا عكس ما حصل في انتفاضة الأقصى سنة 2000، فعرفات رحمه الله مي يقف أمامها فحسب، بل عمل على تشجيعها، وتمويلها في كثير من الأحيان.

إنَّ تحسين شروط التفاوض مع الاحتلال كان هدفاً سعى عرفات لتحقيقه، بعد أن رجع من كامب ديفيد بلا ناقة ولا جمل، وبالتالي أراد أن يُحسن الشروط، ولاحظ هنا كيف أفشلت الأحداث كامب ديفيد وعطلت من استكمال مجرياتها، كما أنَّ زيارة شارون للقدس أشعلت الانتفاضة وزادت من حدتها، ومن العبارات المشهورة التي قالها ياسر عرفات لكلينتون آنذاك: "يجب أن تستشير الأمة كلها حتى أستطيع أن أتنازل لك عن القدس"، ورد شارون على عبارة عرفات بصورة عملية، فقال: "إنَّ القدس لي وأريد أن أزور الأقصى"، وفعلاً دخل المسجد الأقصى، كأنه فاتحٌ له قبح الله وجهه.

وعند ربط هذه الأحداث مع بعضها، نُدرك أنَّ عرفات ضغط من أجل تحسين التفاوض، وشارون توجه بشكل مباشر باقتحام المسجد الأقصى، والشعب الفلسطيني نهض ليدافع عن مقدساته من هذا السوء الداهم، وبدأت الانتفاضة الثانية، التي مكنت حركة حماس أن تجني رصيداً شعبياً هائلاً من خلال العمليات الاستشهادية التي كانت تُوجع الاحتلال كثيراً.3

وبناءً على ما تقدم فإننا نتساءل عن العوامل التي جعلت عرفات غير قادر على أن يتحكم بالانتفاضة ومجرياتها المتصاعدة، طالما أنّه لم يكن يرغب في الانتفاضة المسلحة كخيار استراتيجي في الصراع مع الاحتلال!!

يُجيب أبو مرزوق عن هذا التساؤل بقوله:

عندما تتصاعد الأحداث إلى فوق القدرة من الطبيعي أنْ تفقد زمام التحكم في الميدان، فالعامل الأساسي في انهيار الإمبراطوريات هو التوسع الذي يجعلها غير قادرة على الإنفاق عليها أو السيطرة على مفاصلها، أو لا تستطيع أن تُحافظ على مكتسباتها، كالذي بلع شيئاً كبيراً ولا يستطيع هضمه، جميع الإمبراطوريات التي انهارت عبر التاريخ—الرومانية أو الإغريقية أو غيرها—لعدم القدرة على الإنفاق على المساحات الجغرافية الهائلة التي تحت سيطرتها، مما شكل عائقاً أمام السيطرة والتحكم، وهذا ما حصل مع ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، فلو لم

 $^{^{3}}$ مقابلة أجراها الكاتب مع موسى أبو مرزوق ، $^{2019/3/31}$.

تدخل ألمانيا إلى روسيا لكانت أوروبا بكاملها ونصف إفريقيا تحت سيطرتها حتى اليوم. وكانت اليابان تحتفظ بالصين والفلبين وأندونيسيا، غير أنَّ ألمانيا أقحمت نفسها في معركة أكبر من حجمها، ولم تستطع ابتلاع روسيا، فكانت النهاية التي قيدت أدولف هتلر Adolf Hitler ومنعت تقدمه في الجبهة الشمالية، خصوصاً أنَّ أمريكا وقفت سداً منيعاً على جبهتها، وهذا عامل آخر أثر سلباً في معادلة الصراع، إذ ليس من الكياسة أن تدخل معركة مع طرف جديد في وجود معركة قائمة. كان من الواجب على الألمان تحييد الأمريكان بكافة الوسائل، الحفاظ على الإنجازات السابقة، غير أنها كانت معركة بلا عقل وطموح بلا حدود، لذلك هُزم الألمان على جبهة روسيا، ومع دخول أمريكا في الحرب كانت الهزيمة قد ظهرت بوادرها. الشيء نفسه حصل في الانتفاضة الفلسطينية الثانية، شارون دخل معركة حامية الوطيس، ودخل إلى مدينة جنين.

لما اقتحمت قوات الاحتلال مدينة جنين أصبح موقف عرفات أكثر صعوبة، فهو لا يستطيع أن يقول لشعبه أوقفوا المقاومة المسلحة بينما العدو يضرب النار على صدور النساء والأطفال، ويهدم البيوت فوق رؤوس ساكنيها. في الحقيقة الخطأ التاريخي الذي وقع فيه ياسر عرفات هو الخطأ التاريخي نفسه الذي وقع صدام حسين فيه، فالأخير أنهى الحرب مع إيران ثم احتل الكويت، خطأ تاريخي كلفه كل شيء، أما عرفات فقد أشعل الانتفاضة الفلسطينية المسلحة وبقي يُدير الأمور من رام الله، الأمر الذي كلفه ما حصل لصدام حسين. كان الأولى على عرفات في تلك المرحلة بالذات أن يخرج من الضفة الغربية ويقود انتفاضة شعبه ومؤسسات السلطة من الخارج، بدلاً من أن يُحاصر بالطريقة التي حدثت، فشارون تعمّد حصار عرفات بعد اجتياح الضفة الغربية؛ لتوصيل رسالة للفلسطينيين أنَّ مصار عرفات بين نيران بنادقنا ودباباتنا فماذا أنتم فاعلون؟ عموماً شاركت حركة حماس في الانتفاضة الثانية شاكرة لعرفات إسهامه في ذلك، وشاكرة لحركة ضرورة وقنتها الوطنية في تحقيق ذلك، فالمشاركة الجمعية في مواجهة الاحتلال ضرورة وطنبة. 4

 $^{^{4}}$ مقابلة مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول 1 أكتوبر 2012. (بتصرف)

في الحقيقة لم يتوقع الاحتلال الصهيوني حجم الغضب الذي صبّه الفلسطينيون على رأس قواته التي تُوغل ليل نهار في دماء الفلسطينيين وحقوقهم المكفولة دولياً وأخلاقياً، إذ لم يشهد تاريخ العمل المقاوم شراسة كالتي ظهرت في خضم الانتفاضة الثانية، فقد اتحدت الفصائل الفلسطينية المقاومة المسلحة، ونفذت عمليات عسكرية مشتركة، فبدأ الألم يصل إلى مفاصل الكيان الصهيوني، نتيجة العمليات الاستشهادية على وجه التحديد، فكان الرد الصهيوني متخبطاً في كل مكان، لقد استهدف الحجر، فهدم بيوتاً كثيرة، وقتل البشر، فاغتال ياسر عرفات، والشيخ أحمد ياسين، وأبو علي مصطفى، وعبد العزيز الرنتيسي والكثير من قيادات العمل الوطني، بهدف ردع الشعب الفلسطيني، وإيقاف نيران المقاومة التي ترفض احتلاله البغيض.

وعلى الرغم من الإجماع الفصائلي والشعبي على مواجهة الاحتلال بالوسائل كافة، إلا أنَّ العلميات الاستشهادية لم تكن محطاً لهذا الإجماع، فقد تحدث بعض المفكرين وأصحاب الرأي والتأثير عن الآثار السلبية التي ستلحق بالقضية الفلسطينية وأدواتها الفاعلة نتيجة استمرارها، وهذا ما أثاره أبو مرزوق عندما تطرق لهذه القضية بقوله:

بلا شك سر الشعب الفلسطيني بالعمليات الاستشهادية؛ لأنها تُؤلم المحتل وتُنغص عليه حياته، إلا أنّه لا يعكس أفضل الخيارات وأحسنها، لأن شعبنا لا يملك وسيلة غيرها، فليس كل ما يَسعد به الإنسان أو يُسر برؤيته يُحقق المصلحة المرجوة، بمعنى أنّ العمليات الاستشهادية وانتشارها بشكل كبير لم يكن محط إجماع. فقد تشكل رأيٌ ضدّ العمليات الاستشهادية التي تستهدف المدنيين في المراقص أو الكازينوهات أو الأماكن العامة؛ لأنّها تجر القضية الفلسطينية وحركة حماس إلى مربعات تُضعف من موقفها العام، وحضورها الدولي والإقليمي.

كما ظهر رأيٌ ثان مفاده ألا تقتصر مواجهة الاحتلال على لون واحد من العمل القتالي؛ حفاظاً على جذوة العمل المسلح، خصوصاً أنَّ سهولة تنفيذ العمليات الاستشهادية دفعت أغلبية الفصائل المقاومة إلى استخدامه دون النظر إلى الأنواع الأخرى ومقتضياتها المطلوبة، على اعتبار أنَّ التكتيكات القتالية الأخرى مُكلفة

ومرهقة، فهي تحتاج إلى صناعة الأسلحة اليدوية أو توفير الأسلحة بطرق مختلفة مثل سلاح الكلاشنكوف أو بندقية أم—16 (M16)، وتحتاج إلى فريق عمل، وساحات تدريبية، وخبرات عملية، واحتياطات أمنية، بينما العملية الاستشهادية تحتاج إلى من يحمل حزاماً تفجيرياً وينطلق به نحو الهدف المطلوب، دون الحاجة إلى ترتيبات كثيرة، فإذا ما استسهلت من قبل الفصائل الفلسطينية المقاومة، وأصبح الشباب يتسابقون من أجل تنفيذها، تُصبح التكتيكات الأخرى غير قابلة للتطوير التراكمي، وهي تحتاج إلى وقت طويل ومجهود كبير لاسترجاعها من جديد. أما الرأي الثالث فقد كان يُشدد على ضرورة استمرار العمل المقاوم دون الاهتمام إلى شكله أو نوعه، المهم يجب ضرب الاحتلال بالوسائل كافة؛ حتى يتم مواجهة اتفاقية كامب ديفيد وأوسلو وكل ما يتعلق بهما من إفرازات، وفعلاً المقاومة بالشكل الأخير هي التي حطمت اتفاقية أوسلو.

بعد خروجي من السجن الأمريكي في كانون الأول/ ديسمبر 1997 زرتُ عرفات رحمه الله بناءً على طلبه، وكان الطيب عبد الرحيم موجود في الجلسة، وبعد ستّ دقائق تقريباً من السلامات، والكلام العام، أشعرتُ عرفات أنني جئتُ لأجلس معه منفرداً، وإذا بالأخ الطيب عبد الرحيم، يحمل علبة سجائره ويخرج من المكان. نظرتُ إلى عرفات، وأردتُ أن أبدأ حديثي في الموضوع المقصود، فإذا به يُشير لي بيده إشارة مفادها أنَّ المكان مُحاط بأجهزة التنصت الأردنية، وبالتالي لم نتحدث شيئاً عن المرحلة ورؤية حركة حماس في التعاون المشترك، فكانت الزيارة مجرد حديث عام دون هدف محدد، بيد أنَّ عرفات كان أستاذاً في نسج العلاقات السياسية، وبعث الدفئ فيها، مهما كانت المرحلة التي يمر بها. 5

عموماً انطلقت حركة حماس نحو التفاعل القوي مع أحداث الانتفاضة الثانية، فسددت ضربات متتالية أوجعت العدو، وقدمت نموذجاً رائعاً في قوة العمل المشترك مع الفصائل الفلسطينية الأخرى، وحرصت على التكامل الإيجابي بين

مقابلة مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2 مقابلة مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2

المناطق الجغرافية المختلفة، فكانت حماس الخارج تدعم الداخل (الضفة الغربية وقطاع غزة) بالإمكانيات المادية التي تحفظ استمرارية المواجهة، وقوة العمل المقاوم.

وقد وضح أبو مرزوق هذه الصورة التكاملية، فقال:

كانت سياسة حماس في الخارج حتى 2008 تقريباً قائمة على دعم الداخل بالوسائل كافة، ولم يكن في أجندتها العمل على بناء تنظيمي مستقل عن الأطر الأخرى، بمعنى أنه لم يكن لحماس في الخارج تنظيم مستقل بخططه أو برامجه الخاصة، وإنما كان معظم أبنائه منخرطين في تنظيم بلاد الشام، ومتفاعلين مع أنشطته المتنوعة، وهذا فتح المجال أمام مئات الشباب في مختلف التخصصات أن يدعموا الضفة الغربية وقطاع غزة بالطاقات المتنوعة. كانوا يعملون ما يستطيعون من أجل خدمة إخوانهم في فلسطين المحتلة، ودعك من الحديث الذي يتطرق إلى الجزئيات غير المهمة، والمناكفات الجانبية، انظر مثلاً إلى بعض المجموعات الشبابية التي كانت تهتم بالعمل العسكري ولا تُفكر إلا في خدمة المجاهدين في فلسطين، كانوا يتعلمون تصنيع المتفجرات والفنون القتالية، وتطوير الصواريخ، وينشطون في تدريب مجموعات قتالية من الأراضي المحتلة، بعد تأمين سفرهم إلى الخارج، ثم عودتهم إلى الداخل. بالتأكيد هذا لا يُلغي دور الداخل في التضحية بالمال والنفس والولد، والتطوير والمواجهة، والعمل في بيئة معقدة، لكنَّ التطوير لا يحصل بجهد ذاتي فقط، وإنما يحتاج إلى تراكم جمعي حتى يُثمر عملاً جيداً.

كان العمل العسكري يسير بقوة الداخل وتضحياتهم، وجهود الخارج وعلاقاتهم التي تعمل بمساعدة الإيرانيين والسوريين وبأمور متعددة، وبتوفير الأسلحة، والمواد المتفجرة. بدأ المجاهدون في الداخل بأولى محاولات التصنيع والترتيب، ثم عزز الخارج هذه البداية بمجموعة من الخرائط والمعلومات والمواد الكيميائية مثل النشادر والتعدين والبروكيماويات، التي تدفع عملية التطوير إلى الأمام. معظم المواد المتفجرة التي يستخدمها الداخل في التصنيع كانت تأتي عبر المجاهدين في الخارج، فلولا الخارج لما رأينا هذا التطوير العسكري في قطاع عبر المجاهدين في الخارج، فلولا الخارج لما رأينا هذا التطوير العسكري في قطاع

غزة، وعليه؛ فإنَّ العمود الفقري للعمل الفلسطيني في الداخل هو الخارج، فلولا المال لما كان شيء، ولولا مساعدة الخارج في العمل العسكري بمختلف أنواعه لبقي ضعيفاً.

وهذا الأمر لا يتعلق بحماس فقط، بل له علاقة بجميع التنظيمات التي عملت في الداخل بدون مساعدة من الخارج، أو التنظيمات التي عملت في الخارج دون وجودها في الداخل. انظر إلى نقطة ضعف الجبهة الشعبية – القيادة العامة الآن، ستجد أنَّ عدم وجودها في الداخل سبب لها مشكلة الوجود بالإضافة إلى التطور. إذن أيّ منظمة ليس لها وجود في الداخل والخارج معاً ستضعف حتماً، في المقابل سترى أنَّ المنظمات التي لها وجود في الداخل والخارج تتمتع بقوة تدفعها نحو التقدم والانتشار، والله أعلم.

بالتأكيد هذا العمل التكاملي بين الداخل والخارج أظهر قوة المقاومة الفلسطينية بشكل عام، وكشف وقاحة الاحتلال وإجرامه الذي طال الشجر والحجر والبشر، فقد اغتال كوكبة كبيرة من قيادات العمل الوطني، ظاناً أنه سيقمع أهل الحقوق عن انتزاع حقوقهم من فمه المسموم، لقد كسر كل القوانين الدولية، والأعراف الأخلاقية في اغتيالاته التي طالت العديد من القادة السياسيين، والإعلاميين، والمهنيين وغيرهم.

دعك من نظرة الناس وحساباتهم في تحديد معايير إجرام العدو، دائماً في المعارك، يُجنب السياسيون والإعلاميون والمسعفون والمدنيون من الاستهداف المباشر، وتتجه البندقية في أغلب الأحيان نحو من يقوم بالفعل العسكري أو العمل الأمني له، غير أنَّ الاحتلال في تلك المرحلة قرر الخروج عن هذه القاعدة عندما رأى قوة الفصائل الفلسطينية وفعلها العسكري، ثمّ بدأ يُهدد باغتيال أبرز القادة السياسيين؛ لردع المقاومة، وتشكيل قواعد اشتباك تتماهى مع أمنه المأزوم،

مقابلة مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2012. (بتصرف)



وعلى اعتبار أنَّ القادة السياسيين يتبنون فكرة المقاومة وسلوكها الميداني كما يُبرر العدو، شهدنا اغتيال العديد من القادة المفكرين والسياسيين والإعلاميين أمثال الشيخ أحمد ياسين، والمهندس إسماعيل أبو شنب في غزة، وجمال سليم، وجمال منصور في الضفة الغربية، وهذا لا يعني أنَّ الاحتلال لم يُقدم على اغتيال القادة العسكريين، فقد اغتال د. إبراهيم المقادمة، والشيخ صلاح شحادة وغيرهم، لكننا أردنا أن نقف على قرار العدو باستهداف القيادات السياسية في الداخل، وأنَّ فعله لم يكن مسبوقاً على الإطلاق، وأنه أراد أن يُنهك الحركات التحررية وتعاظمها الاستراتيجي من خلال القتل المباشر، ولم يقتصر على الداخل فقد امتدت يد العدوان للخارج في محاولة اغتيال الأخ خالد مشعل، والأخ محمد حمدان، واغتيال محمود المبحوح، وعز الدين الشيخ خليل، ومحمد الزواري، وفادي البطش. 7

إنَّ اغتيال القادة السياسيين في تلك المرحلة لم يكن بحاجة إلى اختراق أمني بقدر حاجته إلى القرار السياسي الذي يُوافق على اغتيالهم؛ فالمعلومات لدى الأجهزة الاستخباراتية جاهزة، والعملاء والمعلومات بمختلف مصادرها موجودة، والتكنولوجيا والطائرات الهجومية جاهزة، الأمور فقط بحاجة إلى قرار سياسي لتنفيذه، وهذا ما حصل عندما تمت الاغتيالات، فهؤلاء الإخوة السياسيون عملهم الأساسي بين شعبهم، ونشاطهم علني وواضح، ولكن بذل الجهد في حماية الشخصيات لا شكّ مهمة كبيرة وعسيرة، وإن كان يوجه لنا انتقاد شبه يومي، لكنَّ الناس لا تُدرك حجم الاستهداف الذي تواجهه الحركة في الداخل والخارج ما دامت تدعو لمقاومة الاحتلال نهجاً وسلوكاً.8

مقابلة مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2012. (بتصرف)

مقابلة مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 8 مقابلة مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2012.

ثانيا: حماس: قراءة للتجربة وتقييمها:

"(المقارمة قامت من أجل أن تعطي وتقدم للا أن تأخز" (الشيخ أحمد ياسين)

تحت هذا العنوان أجاب أبو مرزوق على عدد من الأسئلة التي جاءت ضمن عمل يدرس حركة حماس في الفكر والتجربة، وقد تطرقت الأسئلة إلى عشرة عناوين رئيسية لتغطية العنوان المذكور، بيد أننا سنذكر بعضها، لأننا استفدنا من الجزء الآخر في مواطن متفرقة في هذا الكتاب. بدأ أبو مرزوق إجاباته بالحديث عن أهم العناصر التي حافظت على قوة حماس وتماسكها، فقال:

إنَّ حركة حماس تكاد تكون الحركة الوحيدة، بين الحركات، في مراحل التحرر من الاستعمار، التي حافظت على وحدتها، وتماسك عناصرها؛ نظراً للأسباب التالية:

أولاً: الشورى، وهي ملزمة للقيادة، وأطرها الواسعة، ابتداءً من الحي وانتهاءً من الحركة في أعلى مراتبها وهي الصيغة الوحيدة للتصعيد القيادي.

ثانياً: العمل المؤسسي التخصصي الذي يوظف الطاقات ويرفع القدرات، مع وجود أنظمة حاكمة في كل مؤسسة.

ثالثاً: عدم الارتهان لسياسات خارجية، مهما كانت قوتها أو انعكاساتها، والحفاظ على مؤسسات الحركة في تحديد قراراتها وتوجهاتها.

رابعاً: الفصل بين السلطات وغياب الدكتاتوريات أو القيادات الشمولية.

خامساً: اعتماد الانتخابات كقاعدة للتصعيد القيادي في كل مستوياته.

⁹ مقابلة مكتوبة (تمت بالمراسلة الإلكترونية) أجراها أ. د. محسن محمد صالح (بيروت، لبنان) مع د. موسى أبو مرزوق (القاهرة، مصر)، حيث بدأت المراسلات في 2013/12/26، وتم اعتماد النص من د. موسى في 2014/2/19، وقد وضعت التساؤلات هنا على شكل عناوين ومحاور للمساعدة في انسيابية النص وسلاسته، وقد تم نشره في كتاب حركة المقاومة الإسلامية حماس: دراسات في الفكر والتجربة، الذي قام بتحريره أ. د. محسن محمد صالح، والذي صدر نصه العربي عن مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات في بيروت سنة 2014.

سادساً: الجرح والتعديل والتقييم المستمر لكل المستويات القيادية الوسطى والعليا، في إطار من الاحترام والمحبة والشفافية.

سابعاً: التواصل بين القيادة والقاعدة، والثقة والمحبة بينهم.

كما هو معلوم؛ أنّ المشروع الوطني هو الذي تتبناه الجماعة الوطنية، وإن اختلفت مشاربها الأيديولوجية، والفلسفية، وفي هذا الخصوص نستطيع أن نقول: أنّه قلّ ما كان هناك إجماعٌ فلسطينيٌ حول مشروع وطني جامع، باستثناء فترة قصيرة، حينما طرح مشروع م.ت.ف وميثاقها القومي تحت شعار وحدة وطنية، تحرير، عودة. إنَّ الانقسام الأخطر والذي أحدث شرخاً في المشروع الوطني كان بعد توقيع اتفاقية أوسلو، حيث كانت فتح وقيادتها للمنظمة تتبنى دولة فلسطينية عاصمتها القدس وحلاً عادلاً لقضية اللاجئين، في إطار مشروع حلّ الدولتين، ونبذ العنف، والاعتراف المتبادل، في حين رفض ذلك كمٌ فلسطينيٌ معتبر أبقى على أولوياته في المقاومة، والتحرير، والعودة، وكان أوّل مقترح يقارب بين الفرقاء؛ ولم تستمر الجماعة الوطنية في استكماله، هو اتفاق الوفاق الوطني والذي وقعه كمٌ كاف لاعتباره مشروعاً وطنياً جامعاً، وفي اعتقادي أن لا انسداد لدينا في الوصول إلى مشروع وطني جامع، قاعدته اتفاقية الوفاق الوطني، أما إذا نظرنا لأولويات المشروع الوطني، لا بدّ أن نعلم أن هناك بعض القضايا المؤثرة في تفصيلات هذه الأولويات ومضامينها:

- 1. انسداد الأفق بالوصول إلى دولة فلسطينية عبر المفاوضات مع الاحتلال، لأن السقف الذي يطرحه لا يمكن قبوله فلسطينياً؛ كما أن هناك صعوبات جمّة في مشروع المقاومة بسبب التنسيق الأمني في الداخل الفلسطيني، والحصار المفروض، والإجراءات الصهيونية على الأرض.
- 2. الحالة التي يعيشها الشعب الفلسطيني؛ انقسام فلسطيني في الداخل بين ضفة غربية معزولة عن القدس وغزة والداخل الفلسطيني. والضفة نفسها أصبحت في بقع أشبه بكانتونات نظام الفصل العنصري، حيث من الصعب تواصل أبناء الوطن الواحد على أرضهم، بالإضافة إلى كوارث حلَّت بالخارج الفلسطيني،

كما حدث بفلسطينيي العراق، ثمّ فلسطينيي سورية، ومن قبلهم فلسطينيي الكويت، والتهديد المستمر لفلسطينيي لبنان، حتى إن نصفهم أو يزيد يكاد يصبح في خارج لبنان. وباختصار بسبب الأوضاع العربية وسياساتها بعد النكبة وحتى اليوم هاجر شعبنا مرتين وثلاثة.

- 3. المشروع الوطني لا يمكن عزله عن محيطه العربي، والذي ما زال يبحث عن الاستقرار الداخلي، وترتيب أوضاعه السياسية، والاجتماعية، والدستورية.
- 4. العلو الكبير للمشروع الصهيوني في مختلف المجالات، وفارق القوة، وانعكاساتها على الوضع الفلسطيني، وانتهاء التهديدات الأمنية التي كانت تقلقه، بما في ذلك الجيوش العربية المحيطة، والأسلحة الكيميائية والذرية التي تمّ تحييدها.
- 5. الموقف الدولي (أمريكا وأوروبا) مع التسوية السياسية، ولكن اصطفافه مع العدو الصهيوني هو الغالب. وتمّ تحييد الكثير من تأثير المجتمع الدولي عن القضية الفلسطينية، بالرغم من وقوف الكثيرين المستمر مع القضية الفلسطينية وعدالتها.

أولويات المشروع الوطنى الفلسطينى:

- 1. ترتيب البيت الفلسطيني؛ بما يُحقق المصالحة الفلسطينية وإنهاء الانقسام، ويُعيد بناء منظمة التحرير الفلسطينية، ويُفعل مؤسساتها بمشاركة الجميع في مجمل مكوناتها، ويعمل على إصلاح السلطة الفلسطينية لتكون رافعة وطنية، ويُعدل أوضاعها لتنسجم مع البرنامج الوطني الجامع، ويبني ميثاق شرف: يحدد المبادئ الحاكمة في التدافع السياسي، وتولي المسؤوليات، سواء كان ذلك بتحريم استخدام القوة في الوسط الفلسطيني، أم الديموقراطية والتداول السلمي للسلطة وإعلاء قيمة الإنسان وحقوقه، إلى غير ذلك.
- 2. المقاومة بكافة أشكالها كحق لشعبنا الفلسطيني؛ وهذا يستدعي تجريم التنسيق الأمني، والتوافق على البرامج والآليات للمقاومة كلجان مشتركة، أو تنسيق مشترك، أو قيادة مشتركة.

3. تحرير الأسرى من سجون الاحتلال؛ مما يتطلب العمل بكافة السبل لتحريرهم، ورعاية المفرج عنهم، ورعاية أسر الأسرى والشهداء، واستعادة الدور العربي والإسلامي في القضية الفلسطينية، على كافة المستويات الرسمية، والشعبية، كعمل استراتيجي لقضيتنا، وتصحيح الخطأ التاريخي الذي جعل 99% من أوراق القضية بيد أمريكا، واستعادة الاعتبار للدعم الدولي، وأحرار العالم، وتفعيل المؤسسات الدولية لصالح شعبنا؛ كمحكمة الجنايات الدولية، ولجان حقوق الإنسان، والمؤسسات الثقافية، ومعالجة كافة السلبيات، كنتيجة طبيعية حدثت لضغط الولايات المتحدة واستفرادها بالمنطقة.

تجربة حركة حماس في السلطة الفلسطينية:

يعلم الجميع أنَّ دخول حماس الانتخابات كان على برنامجها وليس على أساس اتفاقيات أوسلو، وبعد فوزها بـ 74 مقعداً في المجلس التشريعي، لم يُمكِّن لها عمليا الحكم في قطاع غزة والضفة الغربية، خصوصاً بعد عملية أسر الجندي الاسرائيلي شاليط؛ حيث اعتقلت السلطات الصهيونية أعضاء المجلس التشريعي وبعض الوزراء في الضفة وحاصرت قطاع غزة. أما حركة فتح فقد سحبت موظفي السلطة من الوظيفة العمومية، وسلمت المكاتب بدون أي شيء أملاً في إفشال حماس، مما زاد من صعوبة المرحلة التي كانت غير طبيعية وفريدة من نوعها في إدارة قطاع غزة بسكانه الذين يبلغ عددهم 1.5 مليون نسمة في ذلك الوقت (سنة 2006)؛ والذي يخضع في الوقت نفسه لحصار دولي، بالإضافة الى تجربة المزاوجة بين الحكم والمقاومة، وتجربة الصمود المذهلة في قطاع صغير، مساحته المعنوية كبيرة، أمام عدوان عسكري صهيوني من البحر، والبر، والجو. بالإضافة إلى تجربة أول حركة ذات مرجعية إسلامية، تصل إلى الحكم بطريقة ديموقراطية، ونجاح الحركة في محاربة الفساد، وطريقة الإدارة في برنامج اسمه التغيير والإصلاح، لذلك كله لا بدّ من استحضار الظروف التي وضعت فيها الحركة، من حصار دولي خانق، وعراقيل داخلية، من قبل حركة فتح أساساً (كسحب الموظفين العموميين من أماكن عملهم)، وضعف الامكانيات لدى حركة حماس، حيث إنَّ المساعدات الدولية كلها تتجه صوب حكومة رام الله، والعدوان العسكرى

المستمر، بما في ذلك المواجهات الكبيرة في السنوات 2006، و2009/2008، و2012، و2012 ومتطلبات السكان من سفر وعمل وحاجيات إنسانية وتعليم وصحة، وإعادة إسكان من دمر منزله.

ولعل الضفة الغربية عاشت مع التجربة ومع حماس فترة قصيرة لا تستطيع أن تبني عليها تقييماً موضوعياً، حيث إنها ما إن استلمت مقاليد الوزارة حتى واجهت الصعاب الكثيرة من فتح والإعلاميين ومن العدو الصهيوني، حيث تمّ اعتقال العديد من القيادات في الوزارات والبلديات والتشريعي حتى بلغ عدد المعتقلين من أعضاء المجلس التشريعي في الضفة الغربية 42 نائباً، وبعد الانقسام تمّ إقصاء الوزراء، وملاحقة رؤساء البلديات وأعضائها، وفُصل عدد كبير من الموظفين المحسوبين على حماس بلغ أكثر من 1,100 موظفاً، بالإضافة للحصار الكامل، لذلك لا يستطيع أحد أن يبني على التجربة عموماً، ولكن يمكن وضع الملاحظات الآتية:

- 1. حققت حماس في الجانب السياسي أموراً عدة؛ أبرزها: الشرعية الشعبية عبر نجاحها في الانتخابات، وواجهت الضغوط بنجاح، بما في ذلك الضغوط التي طالبتها بالاعتراف بـ"إسرائيل"، ونبذ ما يسمونه بـ"العنف" ويقصدون فيه المقاومة، والاعتراف بالاتفاقيات الموقعة. ورتبت علاقات تحالفية، وعلاقات جيدة مع الكثير من دول العالم، والمصالحة مع فتح والتي بقيت تراوح مكانها، بالرغم من الوصول مع فتح إلى تفاهمات واتفاقيات مهمة، وبرعاية مصرية، وتجاوز معضلة الحركات التكفيرية، وما تقوم به من التحريض على حماس في أوساط الحركات السلفية، ونجحت الحركة في تجاوز كل الضغوط التي كانت تسعى لاقصائها.
- 2. نجحت حماس في تجنب الانهيار الاقتصادي إلى حدّ ما في بناء اقتصاد محدود الإمكانات، غلب عليه اقتصاد الأنفاق، التي تمّ إغلاقها مؤخراً (النصف الثاني من 2013)، وبسبب الحصار كانت نسبة البطالة مرتفعة إلى أكثر من 40%، وكان هناك الكثير من القصور في البنية التحتية بسبب العدوان الصهيوني، مع عدم تجديد البنية التحتية بسبب الحصار. كما توقفت الكثير من أوجه العمل لضعف

الطاقة الكهربائية، بل لم يستطع أصحاب المصانع المدمرة أن يعيدوا تشغيلها، ولم يستطع أصحاب المصانع السليمة تشغيلها، بسبب غياب المواد الأولية، ونقص الطاقة، كما أن نسبة الفقر زادت في المجتمع وبطريقة كبيرة. ولعل العجز الكبير في موازنة إدارة حماس لقطاع غزة واضح للعيان، وبسبب انخفاض الصادرات الزراعية، وإقفال الأنفاق، وتراجع القطاع الخاص، وعدم الاستثمار في الداخل، وانعدام الاستثمار من الخارج، باستثناء المعونات التي تقدم للقطاع.

3. في الجانب الأمني؛ أعادت حماس الأمن للشارع، واستطاعت فرض النظام وضبط السلاح، وفرضت الانضباط للقيادات العشائرية والأسرية، خصوصاً من كان يأخذ القانون بيده أو يمارس البلطجة، ونجحت في تضييق الخناق على العملاء والمتعاونين مع الصهاينة إلى درجة كبيرة، وإن لم تستطع القضاء عليهم، واستطاعت أن تتعامل مع الجماعات المرتبطة بالقاعدة، وإن كانت صغيرة العدد، قليلة التأثير، مثل أنصار جند الله (جلجلت)، وحزب الله فلسطين، وجيش الإسلام... إلخ، وهذه الجماعات اتهمت حماس بعدم تطبيق الشريعة الإسلامية، وكفّرت حماس وحكومتها، وأعلنت قيام إمارة إسلامية في رفح، كما قتلت المتضامن وكفّرت حماس وحكومتها، وأعلنت قيام إمارة إسلامية في رفح، كما قتلت المتضامن الإيطالي فيتوريو أريغوني Vittorio Arrigoni وقبله الصحفي البريطاني آلان جونستون Alan Johnston، وغيرها من الحوادث المتفرقة، كما كان هناك عنف غير مبرّر، تمّ من خلاله مواجهة قوات الشرطة النظامية من قِبَل عائلات في أثناء اعتقال الشرطة لمطلوبين، وتمّ السيطرة على كل ذلك.

4. الجانب الاجتماعي والأخلاقي والحقوقي؛ لعلّ هذا الجانب، كما يُشير أبو مرزوق، هو أكثر الجوانب التي واجهت حماس في غزة إثارةً وانتقاداً، حيث كثرت الإشاعات حول تحجيب المحاميات وطالبات الابتدائي، وإلزام النساء بالحجاب، ومنع جلوسهن في المقاهي، ومنع شربهن "الشيشة"، ومنعهن من ركوب الدراجات النارية، وتغلُّب "الطالبانية" على "الأردوغانية"، أو الادعاء بإنشاء هيئة جديدة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في فلسطين، وإلغائها في السعودية، بل وصل الأمر إلى ادعاء بأن المجلس التشريعي أقر في قراءته الثانية قانون العقوبات، ولكن للأسف لم تأت القراءة الثالثة منذ أكثر من سنتين، وكل

ذلك ليس له من واقع في حياة أهل القطاع وإدارته من قبل حماس، وإن كان هناك جوانب حقيقية نرفضها ولا بدّ من التعامل معها، كسحل العملاء في الشارع، وتقييد حرية البعض في السفر والتنقل. ولكن في ظلّ المناكفات بين فتح وحماس، تُسَجَّل مخالفات لا ينبغي لها أن تكون؛ مثل الحد من حرية الاجتماع، والتظاهر، والمساءلات القانونية، والاستدعاءات، غير أن هناك قطاعاً عريضاً من الخصوم السياسيين لحماس، تكون انتقاداتهم لها، وبلاغاتهم ضدها كيدية، لدى منظمات حقوقية عديدة، مثل انتخابات الصحفيين والأندية والنقابات، وإغلاق بعض المنظمات الأهلية، وعدم إدخال حماس للصحف من الضفة الغربية.

وكان لملف علاقات حماس مع القوى الفلسطينية حضورٌ واضحٌ في تقييم أبو مرزوق لتجربة حركة حماس منذ انطلاقتها سنة 1987 حتى تاريخ التقييم سنة 2014، فقد وضح طبيعة علاقة حركته بحركة فتح بأنها معقدة؛ لأنها تأتي في سياق ثلاثة أسباب رئيسية؛ الأول، تاريخ حركة فتح الطويل، ونفوذها الكبير في المنظمة والسلطة، والثاني، ما تعتقده حماس من عدم شرعية الاحتلال على أرض فلسطين، وأنَّ المقاومة هي السبيل الأساسي لطرد المحتل، والسبب الأخير، هو أنَّ حركة فتح لا ترى شرعية لأحد بما فيها حركة حماس التي فازت في انتخابات أنَّ حركة فتح لا ترى شرعية لأحد بما فيها حركة حماس التي فازت في انتخابات 2006، وإنما تحصرها في شخص الرئيس الفلسطيني فقط.

إنَّ أكثر الأوراق معالجة لهذه النقاط هي وثيقة الوفاق الوطني، والتي وقعت عليها جميع فصائل العمل الوطني، باستثناء الجهاد الإسلامي، وقد عالجت هذه الوثيقة نقاط الخلاف الرئيسية، بعبارات رضي عنها الجميع، سواء كان ذلك فيما يتعلق بالجهود السياسية، أم بالعمل المقاوم، أم بقرارات الأمم المتحدة، أم بمنظمة التحرير الفلسطينية، أم بغيرها من النقاط ذات العلاقة بصلب الخلافات. والورقة الثانية هي ورقة المصالحة المصرية وملحقاتها، والتي عالجت قضية الحكومة، والمجلس التشريعي، والرئاسة، والانتخابات، والملف الأمني، والمصالحة المجتمعية، وهناك لقاءات كثيرة تمت في صنعاء، والدوحة، ومكة، ودمشق، وعمّان، وفي القاهرة كانت المحطات الأبرز طبعاً، لمعالجة الخلافات الحالية. أما في الماضي فقد كان الخلاف متجسداً في تغييب حماس، ثم تجاهلها الحالية. أما في الماضي فقد كان الخلاف متجسداً في تغييب حماس، ثم تجاهلها

وبعد ذلك احتوائها، وأخيراً إخضاعها ومحاولات إلحاقها برام الله، وكانت هناك لقاءات عديدة بين حماس وفتح في صنعاء، وعمّان، والخرطوم، وتونس. وفي الاجتماعات هذه لم نتوصل لأي من الاتفاقيات سوى بيان الخرطوم والذي رفض في حينه أبو عمار الاستمرار والبقاء لتوقيعه، ووقعه نصر يوسف؛ وهو ما عكس الخلافات الحقيقية والتي تمّ بلورتها في نقاط التقاء ولكن دون تنفيذ حتى الآن (مطلع سنة 2014).

إنَّ خلافات حركتي فتح وحماس ستبقى، ولكن المهم هو تنظيم هذه الخلافات وعدم خروجها من التدافع السياسي إلى الصراع العسكري كما حدث في سنة 2007، وتطبيق ما يتم الاتفاق عليه؛ وهذا يحتاج إلى إرادة سياسية وإخلاص نوايا، وأن تقبل فتح بمشاركة الجميع في تحمل مسؤولياتهم، وأن تتيقن فتح بأن زمن الهيمنة على القرار الفلسطيني قد ولّى، وأن زمن وعهد أن الوطنية هي ما تقرره حركة فتح، وما يتخذه الآخرون من توجهات هو رجعية وعمالة، قد انتهى، كما يجب تحييد العامل الخارجي بالرغم من صعوبة ذلك، حيث التمويل الأساسي يأتي من الولايات المتحدة، والكيان الصهيوني يتحكم بثلاثة ملفات أساسية على الأقل وهي:

- الحكومة: اعتقالاً وتقييداً للحريات.
- الانتخابات: إقصاء لأطراف معينة، اعتقالات، رفض إجراءات، منع الانتخاب في القدس.
 - الأمن: وهو الملف الرئيسي وذريعة الكيان الصهيوني في كل حوار.

ولذلك يتم تجاهل الفيتو الأمريكي مع الاعتراض الإسرائيلي لبقاء الانقسام لمصلحة الكيان، ولذلك كان نتنياهو يكرر: إنَّ على أبو مازن أن يختار إما السلام وإما حماس، حيث لا يمكن المضي في كلا الاتجاهين، حسب نتنياهو.

أما علاقة حماس بحركة الجهاد الإسلامي، فقد وصفها أبو مرزوق بأنها علاقة خاصة، فهما يتدافعان كأصحاب المهنة الواحدة والبضاعة نفسها، فلا تكاد ترى فكراً مغايراً أو سياسة مخالفة، فالمعين واحدٌ ومخرجاته متشابهة.

كان لحركة الجهاد، قصب السبق في البدء في عمليات المقاومة ضد الاحتلال في ثمانينيات القرن العشرين، وكانت أحد المحفزات التي عجلت بانتقال حماس من طور الدعوة والإصلاح بين الناس والمقاومة باللسان إلى المقاومة بالسنان. وعندما أصبحنا كفرسي رهان مع رجحان كفة حماس، طرأ عندهم السؤال الكبير: ما دامت حماس نزلت الميدان، فما هو مستقبل حركة الجهاد الإسلامي واستقلالها؟

دخلنا في حوارات عديدة مع الأخ الدكتور فتحي الشقاقي، وبيننا من العلاقة ما هو أكبر من أن نتحدث كحوار بين تنظيمين، وكان المطروح أحياناً التنسيق المتدرج وصولاً إلى الاندماج والوحدة، وأحياناً الوحدة وترتيباتها، واستمرت العلاقة المتلاحمة مع القيادة من بعده، ولكن بالتأكيد كانت هناك الكثير من الإشكالات في القواعد لتنافسهم، لأننا أصحاب كار واحد (كما يقال)؛ أحياناً على المساجد، وأحياناً على شعار فوق شعار المساجد، وأحياناً على شعار فوق شعار مرسوم على جدار، ولكن كانت الأمور تُسوى ويتم تطويقها ولا نتركها تتفاعل وتتفاقم، وكانت بعض الخلافات تنشأ من التسرع في تبنّي حركة الجهاد بعض عمليات حماس. ولعل الخلاف الأبرز كان يوم قررت حماس دخول الانتخابات عمليات حماس عند الاختلاف في السياسة، صحيح لم تصل علاقاتنا إلى الوحدة والاندماج، لكن التنسيق والعمل المشترك قائم؛ بل كان لنجاح اللجان المشتركة، والتنسيق القيادي، على كل المستويات انعكاس إيجابي.

وقد حظيت علاقة حماس بقوى اليسار الفلسطيني في الساحة الفلسطينية بالإيجابية التي لا مشاكل فيها، مع العلم أنَّ مصالحهم المختلفة تدفعهم لأن يصطفوا إلى جانب حركة فتح سياسياً.

(انتهى النص)

هذه المواضيع وغيرها مما تطرق إليه أبو مرزوق تغطي جانباً من تقييمي مسيرة حركة حماس وتجربتها في الحكم، بيدأنَّ أموراً أكثر نقداً لم تطفُ على ساحة

الأسئلة الموجهة له، خصوصاً عندما نتحدث "الحكم" وما شابه من مواضيع مختلفة، عموماً سألتُ أبو مرزوق بشكل عام عن الفُرص التي لم تستثمرها حركة حماس بالشكل المطلوب، أجاب بما يلى:

لا شكّ أنَّ الحركات كالأفراد تُخطئ وتُصيب، وعليها التعلم من أخطائها ومراكمة نجاحاتها، فالسياسة تقع في باب الظنيات، وليس في باب اليقينيات، لذا قد أكون مخطئاً أيضاً فيما أعتقد أنَّه صواب، وقد أكون مصيباً.

وعليه؛ فإنَّ أبرز تلك الفرص في ظني فرصة الدخول في م.ت.ف، والتي منع دخولنا في ذلك الوقت (1993) في لقاء الخرطوم هو صعود حماس وارتفاع سقفها، ولم تدرك أثر الشرعية العربية والدولية للمنظمة، وكذلك سياسة التدرج في دخول المنظمة (المتأخر)، وكان العرض أن ندخل بنفس العدد لحركة فتح رسمياً.

الفرصة الثانية هي عدم وجود تقدير سليم للتهديد الأوروبي بوضعنا على قائمة "الإرهاب" عند الاستمرار في استهداف المدنيين في العمليات الاستشهادية، على الرغم من أن سياسة الحركة الثابتة هي عدم استهداف المدنيين، وكان الأولى أن نلتزم بسياساتنا المقرة بعدم استهداف المدنيين، وهو الأمر الذي أدى في النهاية إلى وضعنا على قائمة "الإرهاب"، وإقرار خطة شارون وبناء الجدار الفاصل.

الفرصة الثالثة هي تعديل ميثاق حماس الذي صدر في بداية الانتفاضة، وتم إقراره وترجمته وتوزيعه، وكان لنشره الكثير من اللغط حول عدة قضايا متعلقة بصياغة الميثاق، ولغة الميثاق، وهوية الحركة، وعلاقات الحركة وسياساتها، مما أعطى صورة سلبية على كافة المستويات الوطنية والإقليمية والدولية، واحتجنا لعكس الصورة الصحيحة سنوات، حتى تم إصدار الوثيقة السياسية في 2017.

الفرصة الرابعة هي رفض دخول انتخابات 1996، وهي انتخابات تأسيسية ستبني مستقبل الشعب الفلسطيني، وكان الأجدر في اعتقادي خوضها، ولقد أجرت مجلة فلسطين المسلمة مقابلة معي وأنا في سجن مانهاتن في

نيويورك، وسئلت عن دخولنا الانتخابات، وكان جوابي هو دخول الانتخابات، وخوضها، وشرطنا هو النزاهة وتم حذف السؤال والإجابة، وكان هم السلطة أن ما يجري على الأرض في الضفة والقطاع عليه إجماع فلسطيني وإقليمي، واختارت حماس أن تبتعد عن كل ذلك، وتعدل الموقف في انتخابات 2006 بعد وفاة أبي عمار رحمه الله.

الفرصة الخامسة هي التأخر في بلورة العمل التنظيمي بعيداً عن بلاد الشام لطبيعة المرحلة والمهمات، فهناك ثورة في فلسطين، ودولة في الأردن، وهناك تنظيم مقاوم، وتنظيم إصلاحي، وهناك اختلاف في الأهداف والاهتمامات، وإن تمّ ذلك ف فترة لاحقة. 10

هذه جملة من الفرص التي يظن أبو مرزوق أنَّ حركة حماس تأخرت في إنضاجها بالشكل المطلوب في حينه إلا أنها استدركت بعضاً منها، وقامت بتصحيحها وإن كان متأخراً؛ لأنَّها تُشكل حلقة مهمة على طريق الكفاح الفلسطيني.

لأبو مرزوق استدراك لا يتعلق بحركة حماس على وجه الخصوص، لكنه يتعلق بالحركة الإسلامية وسلوكها يوم أن كان طالباً نشيطاً في الجامعات المصرية.

يقول أبو مرزوق:

عندما كُنا طلاباً في الجامعات المصرية انغمسنا في أنشطة الحركة الإسلامية الخاصة ولم نتفاعل بالشكل المطلوب مع اتحاد الطلبة الفلسطينيين؛ كان اتحاد الطلبة يضج بالأنشطة الوطنية والفكرية إلى أنْ أُصيب بنكسة إبّان مقتل يوسف السباعي؛ فقد حصل عملية ترحيل كبيرة للطلاب الفلسطينيين، وخصوصاً من كان فاعلاً في أنشطة الاتحاد، لقد تم ترحيلهم من مصر إلى لبنان مروراً بسورية إلى الأردن وبعدها إلى فلسطين المحتلة. بيت القصيد أننا لم نندمج بالحركة الوطنية واتحاد الطلبة الفلسطينيين بالشكل الذي يمكننا من أن نستفيد من بعضنا، ونطور

 $^{^{10}}$ مقابلة أجراها الكاتب مع موسى أبو مرزوق، $^{2018/11/23}$.



من تصوراتنا الوطنية، لقد أضعنا فرصة ذهبية كانت بإمكانها أن تردم فجوات كبيرة بين توجهات الفصائل الفلسطينية وطرق مواجهة الاحتلال الصهيوني.

أنا في اعتقادي أن تخالط الناس وتصبر على أذاهم أفضل من أن تعتزلهم، والحقيقة أنَّ الشهيد إسماعيل أبو شنب رحمه الله كان مثالاً رائعاً لهذا التصور، فقد كانت علاقاته طيبة مع جميع التنظيمات وخصوصاً حركة فتح، كان يُقيم العلاقات ويعززها من خلال الدراسة، فأبو شنب كان متفوقاً في الدراسة، وكان تحصيله دائماً الأول على الكلية، وكان طلاب فتح يصرفون أغلب أوقاتهم بالعمل الطلابي وأنشطته المتنوعة، فكانوا في نهاية العام يأتون إلى أبو شنب حتى يشرح لهم الدروس الماضية، وفعلاً يجلس الأخ أبو شنب طوال الليل يُدرسهم المواد المختلفة، ثم يحصلون على درجات عالية، وأحياناً يتفوقون عليه في بعض المواد، لذلك كنتُ أحياناً أعترض على إفراطه الكبير في تدريسهم على حسابه الشخصي، لذلك كنتُ أحياناً أعترض على إفراطه الكبير في تدريسهم على حسابه الشخصي، فأقول له لماذا تبذل وقتاً وجهداً كبيرين على من يلعب طوال العام دون تركيز في الدراسة؟ فكان يُقابل هذا الاعتراض بابتسامته المعهودة، كانت علاقاته طيبة مع الجميع، يرحمه الله رحمة واسعة. 11

ثــالثــاً: الوضـع الفلسـطينــي الــداخلــي والهســارات الهحتــهــــة:

في 2016/2/11، شارك د. موسى أبو مرزوق مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات في مؤتمر بعنوان "قضية فلسطين: تقييم استراتيجي 2015 – تقدير استراتيجي 2016" في بيروت، وقد تحدث في ثلاثة محاور رئيسية تحت عنوان "الوضع الفلسطيني الداخلي والمسارات المحتملة"، فقال:

شهدت سنة 2015 العديد من المتغيرات على الصعيد الوطني، والإقليمي، والدولي، والتي شكلت محطات متباينة على مسار القضية السياسي، وإن تميزت

الله مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر مقابلة مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2012. (بتصرف)

هذه السنة بصمود الشعب الفلسطيني في مواجهة العدو الصهيوني؛ ففي غزة كان صموده في حرب سنة 2014 وآثاره المترتبة في سنة 2015، خصوصاً ما دمرته الحرب واستهلكته من القدرة لديها بالرغم من مواصلة الحصار واشتداده، وفي الضفة انطلقت انتفاضة القدس، ما قد تنعكس آثارها في سنة 2016، خصوصاً فيما يتعلق بحماية المسجد الأقصى والمقدسات.

1. الأوضاع الفلسطينية:

أ. القدس:

تتعرض القدس لحملة تهويد محمومة، بإدارة الحكومة، بمشروع متكامل لتكريس فصل القدس عن باقي الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية جغرافياً (الجدار، والحواجز، وإضافة أحياء استيطانية)، وفصل سكانها عنها عملياً من خلال فرض سحب الهويات والإبعاد من مدينة القدس. وعلى الرغم من الانتفاضة فإن إجراءات الاحتلال تجاه سكان المدينة ما تزال تتواصل، ومن الواضح أن وتيرة الإجراءات خفّت لكنها ما زالت مستمرة بالرغم من ذلك. من المتوقع في سنة 2016 أن تتواصل حملة الاحتلال لتهويد المدينة من خلال مزيد من مظاهر التهويد في البناء (مشروعين لبناء كنس، أحدها في ساحة البراق)، والحفريات تحت الأقصى، إضافة لإغراق أبناء القدس في سلسلة جديدة من الإجراءات التي تضيق الخناق عليهم، وهناك احتمال لإجراءات عملية تعمّق أزمة أبناء القدس، من قبيل المشروع المقترح لتشكيل شرطة مقدسية عربية، تعمل في البيئة العربية وترتبط ببلدية الاحتلال، ولا علاقة لها بالسلطة الفلسطينية، ما يعني استمرار المخططات لعزل القدس عن بيئتها الفلسطينية سياسياً، وستكون القدس سنة 2016 أحد أهم عناوين المواجهة فلسطينياً مع الاحتلال.

ب. الانتفاضة:

سعى الإسرائيلي لتنفيذ مخططات الاستيلاء على المسجد الأقصى—وبالحد الأدنى أجزاءً أساسية منه—من خلال مشروع التقسيم الزماني والمكاني للمسجد، غير أن ذلك اصطدم بإرادة الشعب الفلسطيني الذي فجر انتفاضة القدس في وجه المحتل.

شكلت نقطة تحول في مواجهة الاحتلال الذي كان يعتقد أنَّ الضفة قد استكانت، لا سيّما في ظلّ التنسيق الأمني مع السلطة، وشكلت فرصة على الصعيد الوطني في ظلّ انسداد الأفق السياسي، غير أنها ما تزال لا تحظى بمشاركة ودعم تنظيمات الفصائل بشكل كاف، كما أنَّها شكلت في 2015 وحدة فلسطينية ميدانية في أماكن اندلاعها، وبتضامن كبير معها من فلسطينيي 48، الأمر الذي دفع الحكومة الإسرائيلية لاتخاذ قرار تاريخي، بإخراج الحركة الإسلامية في أراضي 1948 عن القانون! وهي تحاول تهدئة المواطنين الفلسطينيين، بصرف موازنات مالية مرتفعة نسبياً—للمرة الأولى—للبلديات العربية.

المتوقع لسنة 2016، أن تكون ممارسات العدو الصهيوني عاملاً حاسماً في رفع وتيرة الانتفاضة، وأن يسبب العدوان الصهيوني تجاه القدس والمقدسات من جهة، وعلى الشعب الفلسطيني من جهة أخرى، مزيداً من التصعيد، وبالتالي تصاعد الانتفاضة، واتساع قاعدتها الشعبية، خصوصاً إذا شاركت الفصائل فيها بقوة أكبر.

ج. المصالحة والانقسام:

شهدت سنة 2015 تراجعاً في جهود إنهاء حالة الانقسام، وبالرغم من تقصير حكومة حكومة الوفاق الوطني إلا أنَّ الانقسام لم ينته، وبالرغم من تقصير حكومة الوفاق بواجباتها تجاه غزة، أو إنهاء الانقسام عملياً، إلا أن الرئيس محمود عباس، وبدلاً من توفير فرص النجاح للحكومة، فقد عمل لتعطيل دورها تجاه القطاع، وأدار الحكومة بطريقة سلبية؛ فقد أقال معظم وزرائها وعين آخرين دون التشاور مع الشركاء. إنَّ الاتصالات تواصلت بين حركتي حماس وفتح على عدة مستويات، كما تواصلت الاتصالات مع القوى والفصائل الفلسطينية في الداخل والخارج. وشهدت نهاية سنة 2015 لقاءات بعضها رسمية وبعضها غير رسمية بين شخصيات قيادية من حماس وفتح، إلا أنَّ العقبات ما تزال تعترض تطبيق المصالحة، بالرغم من تشكيل حكومة الوفاق، خصوصاً العقبات المتمثلة في عدم انعقاد الإطار القيادي المؤقت لمنظمة التحرير، وعدم انعقاد المجلس التشريعي،

والإجراءات الأمنية ضدّ المقاومة وضدّ حركة حماس من طرف أجهزة السلطة بتنسيق تام مع الاحتلال وأجهزته الأمنية.

د. حصار غزة:

تواصل حصار غزة في سنة 2015 للعام التاسع على التوالي، وارتفعت وتيرة إغلاق معبر رفح، والذي لم يتم فتحه أكثر من 21 يوماً طوال سنة 2015، كما تواصل الحصار عبر المعابر الأخرى، بالإضافة إلى عدم إيفاء بعض المانحين بتعهداتهم، وهو ما أعاق بشكل كبير إعادة عملية إعمار قطاع غزة نتيجة ما أصابه من دمار في الاعتداءات الصهيونية سنتي 2012 و2014، وذلك بالرغم من العديد من المبادرات الهادفة لإنهاء الحصار.

هـ. المقاومة:

كانت سنة 2015 بالنسبة للمقاومة في غزة سنة إعادة بناء وترميم ما أصاب بنيتها خلال العدوان الصهيوني صيف 2014، وكانت بناء قدرات إضافية استعداداً لمواجهة جديدة من جانب العدو، قد تفرض عليها مستقبلاً. كما تميزت سنة 2015 بإبداع فلسطيني جديد؛ تحولت فيه أبسط الوسائل العادية إلى وسائل مقاومة كما نرى في الضفة (الدهس بالسيارات، والطعن بالسكاكين)، ما أربك الاحتلال وأجهزته الأمنية، وأربك الواقع الاجتماعي داخل الكيان الصهيوني، وهو ما يؤسس لدفع إضافي لصالح فعل المقاومة في الضفة الغربية ضد الاحتلال ومستوطنيه. في المقابل، وللأسف الشديد، ما زال التنسيق الأمني قائماً بين السلطة والاحتلال في الضفة الغربية على الرغم من إدانته في اتفاقيات المصالحة في القاهرة سنة 1013، وعلى الرغم من قرار المجلس المركزي لمنظمة التحرير بوقفه، بل زاد في ظلّ توفر الغطاء السياسي من السلطة. من المتوقع سنة 2016، أن تتصاعد المقاومة في الضفة إلى جانب تصاعد الانتفاضة، كما أن فرص عدوان صهيوني على قطاع غزة سنة 2016 تبدو ضعيفة.

2. العلاقة مع الإحتلال:

شهدت سنة 2015 حالة من الاستقرار إلى حدّ ما على جانبي الحدود في قطاع غزة، نتيجة لعدم رغبة كلا الطرفين في حرب جديدة. وعلى الرغم من التنسيق الأمني، والجهود التي تبذلها السلطة وأجهزتها الأمنية لمنع عمليات المقاومة، إلا أن انتفاضة جديدة انطلقت في القدس أولاً ثم في الضفة أواخر سنة 2015، وأخذت شكل الطعن بالسكاكين، والدهس بالسيارات، والرشق بالحجارة في العديد من نقاط التماس. ومتوقع في سنة 2016 أن يستمر مستوى الصراع مع الاحتلال من خلال المقاومة الشعبية، والانتفاضات، والمواجهات بموجات مؤثرة.

3. العلاقة الفلسطينية الداخلية:

أ. مع حركة فتح والسلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية:

سجلت سنة 2015 حالة من الركود على الصعيد السياسي، حيث لم يسجل خلالها أيّ حراك بارز باستثناء بعض المبادرات والأطروحات التي كان الرئيس محمود عباس يسعى من خلالها لتحريك المياه الراكدة، وشراء المزيد من الوقت، من أبرزها محاولة عقد المجلس الوطني، وإرسال بعض الوزراء للحوار حول مشاكل قطاع غزة وسبل حلها. أزمة احتمالات انهيار السلطة كانت أبرز المحطات التي عايشتها حركة فتح خلال سنة 2015، والتي يظهر أنها ستستمر، ليبقى ملفاً ساخناً بحاجة إلى رؤية واضحة للتعامل معه، وذلك في ظلّ السياسات الصهيونية، والتنكب للاتفاقيات الموقعة، واستمرار الاستيطان، والانقسامات الداخلية في حركة فتح، والتي أصبحت أكثر وضوحاً خلال سنة 2015، خصوصاً فيما يتعلق برمحلة ما بعد محمود عباس"، والتي بدأت تطرح على كافة الصعد، وتصاعد الخلافات داخل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، والتي كان أبرز محطاتها مشكلة ياسر عبد ربه، وتعطيل جلسة المجلس الوطني التي دعي لها للانعقاد. ما زالت ياسر عبد ربه، وتعطيل جلسة المجلس الوطني التي دعي لها للانعقاد. ما زالت السلطة تحتفظ بعلاقات جيدة على الصعيد العربي، بما في ذلك العلاقات مع سورية، والتي ترتبط بشكل أساسي بالتعاون الأمني بين الأجهزة الأمنية الفلسطينية والسورية. والسورية. والسورية.

ب. المشروع الفلسطيني:

لا شك أنّ المشروع الوطني الفلسطيني يعيش في مأزق، حتى وإن كان هناك عنوان اسمه "المقاومة"، فإنها قد استنزفت في أكثر من محطة مع معيقات إقليمية حتى تمنع إمكانية استثمارها سياسياً، وبالتالي فإن الأمر يتطلب خلال 2016 السعي للخروج من حالة الاستنزاف هذه. مع مرور الوقت يترسخ غياب مرجعية فلسطينية واضحة متفق عليها، بما في ذلك العناوين المعروفة كمنظمة التحرير ومؤسساتها، والتي تآكلت صورتها بشكل كبير في السنوات الماضية. بالرغم من أن انتفاضة القدس مثلت حدثاً محورياً في الشأن الفلسطيني مع نهاية 2015، إلا أنها بقيت أسيرة الجغرافيا، ومترابطة بالشرائح التي تشارك فيها، الأمر الذي يتطلب استثمارها لتكون بمثابة رافعة سياسية للعمل الوطني الفلسطيني، وعنواناً جامعاً ومتفقاً عليه، يكون الأرضية الصلبة لأي حراك سياسي. سنة 2015 أكدت على ضعف إمكانية إنجاز ملف المصالحة، الأمر الذي يتطلب الوصول لرؤية حاسمة حول هذا الملف سنة 2016 باتجاه تفعيله وانجازه.

ج. الانقسام بين فتح وحماس:

لم تتمكن الحركتان من كسر حالة الانقسام على الرغم مما يتعرض له كل منهما، وبمستويات مختلفة، من قبل الاحتلال ودول أخرى، وجرت محاولة لإحياء الحوار وتطبيق اتفاقات المصالحة سنة 2015، ولكن دون تحقيق إنجاز مهم، لكن ثمة بوادر ومؤشرات أولية على وجود بيئة فلسطينية جديدة أو حوارات بين فتح وحماس، تبشر بإمكانية تحريك ملف المصالحة، وإعادة بناء النظام السياسي بكل أشكاله سنة 2016، ولعل الوحدة الميدانية للشباب الفلسطيني من كل الفصائل في انتفاضة القدس تشكل رافعة قوية لتحقيق هذه المصالحة. وشكلت حوارات الدوحة الأخيرة بين الطرفين نقطة انطلاق أولية يمكن البناء عليها، وهي بحاجة إلى إسناد من كل القوى والشخصيات المخلصة في الشعب الفلسطيني، للمشاركة في قطف ثمرة إنهاء الانقسام والتوحد على برنامج وطني شامل قبل نهاية سنة 2016.

ختاماً، فإن سنة 2015 شكلت نقطة مراجعة وتفكير، كما شكلت نقطة تحول نسبي، في وضع القضية الفلسطينية سياسياً وإعلامياً وبشكل إيجابي، لكنها لم تتمكن من تحقيق الوحدة الوطنية ولا استئناف مقاومة الاحتلال بالشكل الشامل، عدا عن انتفاضة القدس في الربع الأخير منه. لكن سنة 2016، دشنت بنجاحات انتفاضة القدس، وانطلاق حوارات صريحة جادة بين فتح وحماس لإنهاء الانقسام وبناء الوحدة الوطنية على أساس برنامج وطني مشترك لإنهاء الاحتلال، وهو ما قد يحمل فرصة تحول مهم في القضية الفلسطينية، خصوصاً في حال انتهاء الحروب الداخلية والطائفية في عددً من البلاد العربية لصالح الاستقرار والمصالحات الوطنية.

(انتهت ورقة د. أبو مرزوق)

وقد قدم أبو مرزوق بعض المواقف المستجدة فيما يخص علاقة حركته بمصر الشقيقة، والتطورات الأخيرة في موضوع المصالحة مع حركة فتح، ففي 2018/10/11 قال أبو مرزوق في حديث خاص بصحيفة الرسالة:

لقاءات الحركة بالجانب المصري كانت مثمرة، وجاءت مكّملة لسابقاتها، حيث استمرت اللقاءات طيلة أربعة أيام التقينا خلالها بالسيد الوزير عباس كامل رئيس المخابرات العامة المصرية ومساعديه، واستعرضنا خلالها العلاقات الثنائية بيننا، كما تناولنا ملفي المصالحة الفلسطينية والتهدئة، بالإضافة إلى أوضاع القضية الفلسطينية، والتهديدات والمخاطر التي تُحيط بها، وأوضاع قطاع غزّة وأزماته الإنسانية.

وقد أبلغنا الوزير عباس كامل أنه أعطى تعليماته بفتح معبر رفح بصورة مستمرة، والاستمرار في تزويد الأشقاء المصريين لقطاع غزة بكثير من المواد المعيشية خصوصاً الغاز والبترول والدواء، آملين أن تُثمر هذه اللقاءات مزيداً من التعاون لما في ذلك منفعة متبادلة للشعبين الفلسطيني والمصري.

مباحثات التهدئة بعد مرحلة التعثر:

تسير جهود التهدئة بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي في عدّة مسارات أممية وإقليمية، ومن هذه الجهود ما يبذله الأشقاء المصريون وهي جهود مقدرة ومهمة، وقد يحدث أن يتعطل مؤقتاً مسار بعينه أو تتعارض المسارات فيما بينها، لكن الجهود بالمجمل مستمرة ومكّملة لبعضها البعض، فنحن في حركة حماس نُريد لها أن تؤتي ثمارها ويشعر بها المواطن الفلسطيني في قطاع غزة، ونحن نسير مع الجهود بقدر قدرتها على تحقيق ما نحن متمسكون به وبما يخدم قضيتنا الوطنية.

إلى جانب الجهد المصري، هنالك جهد الأمم المتحدة بقيادة نيكولاي ملادينوف Nikolay Mladenov وكذلك الجهد القطري، ولعل هذه الجهود تؤتي ثمارها وتنعكس على أهلنا مباشرة، والجميع يدرك أن التأخير في الإنجاز المطلوب سببه ربط المصالحة بالتهدئة، وذلك لأن المجتمع الدولي والإقليمي يتعامل من خلال السلطة الفلسطينية فيما يتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة، ومن هنا تأخرت التهدئة عند ربطها بالمصالحة المتعثرة، وهذا سبب التعثر الذي نسأل عنه. وأعتقد أننا في طريقنا لتجاوز هذا المساريل معاً.

الوساطة المصرية لموضوع التهدئة، وملف المصالحة:

الحركة لا ترى أنَّ قضية المصالحة مرتبطة بالتهدئة، فهما قضيتان منفصلتان، فالمصالحة شأن فلسطيني داخلي بين مكونات الشعب الفلسطيني، والتهدئة نتاج لحرب بين الفلسطينيين والعدو الصهيوني، وهذه الحرب أنتجت اتفاقية لم يلتزم بها العدو في 2014 سواء كان من فتح المعابر، أم حرية الحركة، أم حرية التنقل، أم مساحة الصيد، ونحن نرى بأن وضع التهدئة والمصالحة في سلّة واحدة سيقود إلى تعثر الملفين، وبما أنَّ اللواء عباس كامل أعطى تعليماته بفتح معبر رفح بصورة مستمرة، إذن القاهرة إلى حدّ كبير ستجد من الأسباب والدوافع ما يدعوها إلى التعامل مع الملفين بصورة منفردة لكل ملف، وخصوصاً أن أوضاع قطاع غزة التعامل مع الملفين بصورة منفردة لكل ملف، وخصوصاً أن أوضاع قطاع غزة

أصبحت كارثية بسبب الحصار والعقوبات المفروضة من رام الله، مما يؤدي إلى الضرر بالأمن القومي المصري، ولهذا سيحول الأشقاء في مصر دون انهيار الوضع في قطاع غزة.

علاقات الحركة مع الشقيقة مصر في أحسن أحوالها، كما أن العلاقة في تحسن مستمر، فالاتصالات مستمرة والملفات الثنائية حاضرة في كل لقاء وتتعمق وحدة الفهم الثنائي فيما بيننا، ونحن في قيادة حركة حماس نلمس جيّداً حجم التطور في العلاقة، كما أن المواطن يمكنه أن يلمس ذلك. وأبرز هذه الأمثلة هو استمرارية فتح معبر رفح لعدة أشهر لأول مرة منذ إغلاقه سنة 2006. وحركة حماس تُدرك حجم ودور مصر التاريخي المتعلق بالقضية الفلسطينية، ومعنيون بتطوير العلاقة وتجذّرها، كما أنَّ جمهورية مصر تُدرك وزن حركة حماس وتأثيرها على مستوى الصراع مع الاحتلال والوزن المحلي والدولي.

وفيما يتعلق بموضوع المصالحة الفلسطينية، فقد لخص أبو مرزوق مواقف حركته بالنقاط التالية:

- 1. الشراكة الوطنية.
- 2. عدم الهيمنة أو التفرد في الشأن الفلسطيني.
- 3. الاتفاق على برنامج وطنى لمواجهة التحديات.
 - 4. حكومة وحدة وطنية.
 - 5. نظام سياسي واحد.
 - 6. قيام المجلس التشريعي بمهامه.
- 7. المشاركة ودون هيمنة في منظمة التحرير الفلسطينية وإصلاح مؤسساتها.

ورداً على سؤال حول إصرار حركة فتح، على عقد المجلس المركزي، وسط تهديد بفرض المزيد من الإجراءات ضدّ غزة، وكيف ستتعامل حماس على الصعيد السياسي مع أي مستجدات تتعلق بزيادة الخناق على غزة، قال أبو مرزوق:

يمكن لحركة فتح والرئيس عبّاس تنفيذ تهديداته، فقد سبق وأن كسر الخطوط الحمر الدينية والوطنية والقانونية دون أن تطرف له عين، وهو يمنع حليب الأطفال

عن أبناء شعبنا، ويمنع المرضى من التحويلات الخارجية، ويقطع مخصصات ذوي الشهداء والأسرى وهم الذين ضحّوا وبذلوا لأجل فلسطين؛ ولهذا فإننا في حركة حماس لن نقف مكتوفي الأيدي حيال تشديد الحصار على أبناء شعبنا وبأيد فلسطينية، وسنتدارس مع الفصائل الفلسطينية ومكونات شعبنا سبل الرد، على أن تكون خطواتنا مشتركة في مواجهة هذه الوحشية.

ومن المعلوم أنَّ العدو الصهيوني حينما وقع اتفاقية أوسلو سلم ثلاثة ملفات للسلطة الفلسطينية؛ ملف الشؤون المدنية وهناك منسق من الجيش بهذا الخصوص، والشؤون الأمنية وهنالك تنسيق عالي المستوى مع الأجهزة الصهيونية، وهنالك التجارة والمال وقطاع البنوك، واتفاقية باريس التي جعلت الاقتصاد الفلسطيني تابعاً لا يقوى على الاستقلالية. وكما يعلم الجميع أن الأراضي في الضفة وغزة ما زالت محتلة، وكذلك الاتفاقيات أعلاه هي إحالة صلاحيات الاحتلال لأجهزة السلطة غير المستقلة. ولذلك أي إجراءات عقابية من قبل السلطة، الوكيل الحصري للاحتلال، في إدارة شؤون المناطق في غزة والضفة معناه أن الكيان الصهيوني هو المسؤول المباشر عن هذه الإجراءات العقابية. ومن هذا المنطلق نحن لن نواجه بعضنا بعضاً، وسنحمل المسؤولية للكيان الصهيوني.

وفي ظلّ إصرار عباس على ترسيخ مرجعيات ومؤسسات بدون توافق وطني، لن تعترف الحركة بشرعية هذه المؤسسات أو القرارات الصادرة عنها طالما لا تمثّل الكل الفلسطيني، فهي مسؤولية كل الفصائل وقوى الشعب، وما يجري عبارة عن إنهاك لقوى شعبنا، وتضييع لمؤسساته، وإنهاء لأدوار قطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني، وتنذر بشر وضرر كبيرين.

وللحقيقة لم يظهر الرئيس عباس منذ توليه الحكم قبل 13 عاماً أنه مستعد للتخلي عن استحقاقات أوسلو، في حين أنَّ الكيان الصهيوني نبذ ما اتفق عليه مع منظمة التحرير ولا يخجل من ذلك. كما أنَّ سلوك الرئيس عبّاس لا يشير إلى أيّ نية للتخلص من هذه الاستحقاقات، وكلنا يعلم تصريحه الأخير بأنه يلتقي رئيس الشاباك Shabak شهرياً، ويتفق معه بنسبة 99%، ويا ليته يتفق مع أبناء شعبه على نصف هذه النسبة.

إنَّ السلطة الفلسطينية في أفول، وتتآكل الأرض التي تتواجد عليها الضفة الغربية يومياً حتى باتت تعيش على جُزر يفصل بينها الاستيطان الإسرائيلي، كما أنه لا يمك السيادة حتى على مقر حكمه، فكيف سينتقل إلى ترتيبات الدولة وهو يقود شعباً منقسماً؛ وبتعمق الانقسام والشرخ في مؤسسات المنظمة وحتى حركة فتح نفسها لم تسلم من ذلك، وعليه يجب على أبي مازن تحمل مسؤولياته كاملة تجاه وحدة شعبه ووحدة قواه الوطنية، وتعميق الشراكة، وإشاعة الحرية والديموقراطية، وتقديس حقوق الإنسان دون انتهاكها؛ لأن الله كرمها ورفع قدرها، ويجب الاتفاق على برنامج وطني نتفق فيه على المقاومة وآلياتها وأدواتها وأوقاتها وتسير بجسد رجل واحد.

رابعاً: الفلسطيني المفترى عليه!

 12 بقلم الدكتور/ موسى أبو مرزوق

بالأمس نقل لي أحد الفلسطينيين، ما دار بينه وبين أحد المواطنين المصريين، حين فطن المصري إلى أنَّ لهجة الفلسطيني مختلفة، وكعادة المصريين في احتفائهم بالغريب أو الضيف، أحب أن يتعرف عليه، فلما عرف أنه فلسطيني أشاح بوجهه متبرماً!

هوّنت عليه، ونقلت له طرفة حصلت مع ابن أخي إيهاب، وهو خفيف الظلّ عاش في مصر طويلاً، وكلامه كأبي عمار باللهجة المصرية، لا يخطئها، أوقفه رجل أمن، وحينما سأله عن جنسيته، تمعر وجه الضابط لفلسطينيته، قال له إيهاب: "شايف قلة الأدب، أنا فلسطيني مش كده!".

هذا حال الفلسطينيين في مصر؛ مشكلة في العمل، مشكلة في تعليم أولادهم، مشكلة في تدبير سبُل عيشهم، وأخيراً مشكلة في تحركاتهم في الشارع، مشاكل تتكرر مع كل اختلاف أو تغيير في السياسة. حدث مثل ذلك، وإن اختلاف ألعناوين، في 1948 مع المهاجرين لمصر عبر البحر، وكما هو معروف، هناك آلاف من

⁽بتصرف) الفلسطيني المفترى عليه !، القدس العربي ، 2014/4/4 (بتصرف) الفلسطيني المفترى عليه المقدس العربي ، 12

الفلسطينيين ركبوا البحر، مهاجرين إلى لبنان ومصر، ووضعوا جميعاً في حجْر صحي يسمى "المزاريطة"، وكان محافظ بور سعيد آنذاك فؤاد شيرين بك، وتم إخراجهم من الحجر الصحي، على ثلاثة أقسام، قسم يقدر بـ 4 آلاف رُحِّلَ إلى قطاع غزة، وتحديداً إلى مخيم المغازي، وقسم يقدر بـ 3 آلاف، تمّ تسفيرهم إما إلى الأردن أو إلى لبنان، بواسطة جامعة الدول العربية تحت عنوان "جمع شمل العائلات"، والباقي يقدر بسبعة آلاف كانوا ميسوري الحال، أثبتوا امتلاك كل منهم 10 آلاف جنيه فلسطيني (مرادف للإسترليني)، حسب قرار رئيس الوزراء آنذاك النقراشي باشا، وسارع في نفس الوقت ومنعهم بقرار وزاري من العمل حتى بدون أجر!

أما قصة بيع الفلسطينيين لأرضهم، فقد أشاعها بائعو الشاي في الريف المصرى مبكراً؛ لأنّ صاحب وكالة الشاي يهودي، وبعد عدوان 67 المشؤوم وعادت قصة أنَّ الفلسطينيين باعوا أرضهم. حصل ذلك، عند حرب رمضان المجيدة في أكتوبر 1973 وبعد ثغرة الدفرسوار، حيث اتُهم الفلسطينيون بأنهم هم من تسبب في احداث الثغرة، لأنَّ "كتيبة عن جالوت" كانت تقيم معسكرها على القناة، في منطقة فايد، وعلى الرغم من أسلحتهم الخفيفة، وبعدهم عن الثغرة، فإن الإشاعة انتشرت كالنار في الهشيم، وسببت ضرراً للفلسطينيين في مصر، أيما ضرر. وحصل قبل ذلك، مع رفض مبادرة روجرز 1970، حيث تم ترحيل المئات إلى العراق وسورية، بشخوصهم وبدون أي متاع، أو أغراض، أو حتى أو راق ثبوتية، أو شهادات علمية. وتكرر ذلك عند اتفاقية كامب ديفيد والاعتداء على كل ما هو فلسطيني واغلاق مكتبى "اتحاد الطلبة" و"اتحاد الكتاب الصحافيين الفلسطينيين"، واعتقال الكثير منهم، إلى غير ذلك. وحصل ذلك عند استشهاد الأديب يوسف السباعي (رحمه الله)، حيث تمّ الهجوم والإيذاء للفلسطينيين، وكان الشعار الأبرز "لا فلسطين بعد اليوم"! ونال الفلسطينيون من الضرب والشتم في المدارس والشوارع ووسائل المواصلات الكثير. هذا جندى فلسطيني يُلقى من مترو المطرية، وبنات بالإعدادية والثانوية يُضربن أمام زميلاتهن، ومنهن ابنة المسؤول الفلسطيني صلاح خلف (أبو إياد)، حيث كانت عائلته تقيم في القاهرة، وانتقموا منها إثر ذلك. وتم سحب كل الامتيازات من الفلسطينيين، وما خفى كان أعظم.

قد يكون هذا حال الفلسطيني في أكثر من قطر عربي ولأسباب متنوعة، أغلبها سياسية، لا ذنب للفلسطيني بها، فهم في بلاد اللجوء والبعد عن الوطن، قسرياً، تصرفاتهم تكون في غاية الحساسية، لأن الخيارات التي أمامهم، البقاء أو الهجرة، وهي ليست سهلة، ذلك أن وطنهم تحت الاحتلال، ولذلك يبحثون في كل اتجاه، عن حلّ لهذه المشكلة، البعض وجدها في أمريكا وكندا، والبعض الآخر في أوروبا واستراليا، لكن يبقى هؤلاء استثناءً من رحلة التعامل مع الواقع المعاش في بلاد العرب العزيزة.

ولا يمكن تبرئة بعض الفلسطينيين من فعل حماقة هنا أو هناك، أو ارتكاب جناية، ولكن أن يتحمل كل الفلسطينيين تبعات هذه الأعمال هو الأمر المستغرب.

يحدث هذا للفلسطينيين، على الرغم من أنهم هم من نقلوا العلم والمعرفة والتعليم لمعظم بلاد الاغتراب، ومعظم رجالات الخليج ولبنان والأردن وسورية يعترفون بذلك. سأكتفي هنا باقتباس ما كتبه رئيس تحرير صحيفة السفير البنانية حول فعل الفلسطينيين في لبنان في مقدمة مقاله الرائع "الفلسطينيون جوهرة الشرق الأوسط"، حيث قال: "لا يتخيل الكثير منكم حجم الدور الذي لعبه، وما زال الفلسطينيين يلعبونه، حتى اليوم في اقتصاد لبنان، وإن كان ذلك عليه تعتيم شديد، فالفلسطيني في لبنان إن كان مخطئاً فهي فضيحة وعليها شهود، وإن كان منجزاً فتكتم على الأمر ولا تعلنه"، وتحدث في مقاله عن كيفية مساهمة الفلسطينيون، في بناء وتطوير لبنان، وكيف أنهم أطلقوا فورة اقتصادية شديدة الإيجابية، في العمران وفي تطوير السهول الساحلية اللبنانية، وكيف أن الرأسمال النقدي الفلسطيني أشاع حالة من الانتعاش الاستثماري الواسع في لبنان.

الفلسطينيون في منتهى الحساسية، فيما يتعلق بحقهم وكرامتهم وتعليم أبنائهم، فمن الممكن أن يختلفوا مع سياسات بعينها، أو يرفضوها، ولكنهم قطعاً لم يكونوا، ولو للحظة واحدة، سلبيين تجاه البلد الذي يعيشون فيه، أو ناكرين لأي جميل أسدي لهم. لقد عارض أهلنا في قطاع غزة الرئيس

جمال عبد الناصر (رحمه الله) في أكثر من موقف، وخرجت هذه المظاهرات، ولكنه استجاب لهم، وفتح لهم الجامعات، ووظف خريجيهم من أبناء القطاع، وأوقف المشروعات التي يرفضونها، وأنشأ الكتائب الفدائية مبكراً (كتائب مصطفى حافظ)، وفتح لهم الكليات العسكرية، ونظم قواهم، وجمع كلمتهم على م.ت.ف، وفلسطين لم تَغِبُ عن مخيلته لحظة واحدة، ولذلك حفظ له الفلسطينيون ذلك، فأصبح معشوقهم بلا منازع على اختلاف توجهاتهم أو انتماءاتهم، وأصبح قطاع غزة رمزاً للوطنية، ومنبعاً للجهاد والمقاومة، ورصيداً لكل حركات التحرر، وكان عصياً على الصهاينة، يصعب بلعه، وإن حصل، لم يستطيعوا هضمه.

الحملات اليوم على "حماس"، ومن ثم على الفلسطينيين، خصوصاً أبناء القطاع المحاصر، يصعب علينا تقبلها، ليس لأنها افتراءات، وتأليف محبك لبعضها، وفج لمعظمها فحسب، ولكن لأن ما يقال ليس من مصلحة "حماس"، ولا قطاع غزة، ولا يمكن أن يصنع أولئك المحاصرون ذلك في أحب الأقطار إلى أنفسهم، حيث هم الجيران والأنساب والأصهار، واعتمادهم على مصر في كل شيء. ومصر هي من أرسلت المئات من المعلمين والقضاة وضباط الشرطة والخبراء إلى قطاع غزة، ليرفعوا من مستواه، ويسدوا العجز فيه.

نعم مصر قدمت الكثير للعرب وللفلسطينيين، ولا ينكر أحد ذلك، ولكن الفلسطينيين، وإن جثم على صدرهم وفوق أرضهم الصهاينة، وكانوا أداة ترويع، وتهديد، وأداة قتل لآلاف من العرب، لا سيّما المصريين، فكيف تنقلب الأوضاع، ليصبح هؤلاء الصهاينة هم الأصدقاء، وأهل غزة هم الأعداء؟ على الرغم من أن أهل غزة لم يتسببوا بأي أذى، وقد كانوا تحت الإدارة المصرية، ولم يكونوا قط الشرارة التي ذهبت بالشهداء وبالجنود المصريين (رحمهم الله) في حربهم مع العدو الصهيوني.

ففي عام 1948 كان رجاء الفلسطينيين وتوسلاتهم، بأن يمدهم العرب بالسلاح والعتاد، وهم قادرون على مواجهة العصابات الصهيونية، ولكن القرار العربي كان غير ذلك، ورُفض طلب الحاج أمين الحسيني رأس الحركة الوطنية الفلسطينية آنذاك (رحمه الله) وذهبت الجيوش، وكانت النكبة. وفي حرب 1956 لم

يكن أهل قطاع غزة، وإن تم احتلاله كسيناء، سبباً فيما حلّ بمصر العزيزة، ولكن تكالب الغرب وحرصه على انتزاع قناة السويس من أصحابها، وكان مخلب القط للعدوان الثلاثي الصهاينة، بالإضافة إلى الإنكليز والفرنسيين. وحرب 1967، شرارتها كانت في تحويل مجرى نهر الأردن وإغلاق مضائق تيران، وطرد قوات الطوارئ الدولية، التي أخذت مهماتها على الحدود وفي مضائق تيران وفي قطاع غزة، عد الانسحاب الصهيوني في سنة 1956، وليس المحاصرين في قطاع غزة، وحرب 1973 لتحرير سيناء والجولان، وحتى حينما تم الانسحاب من سيناء بقي قطاع غزة اليوم، حتى تُكال لأهله، ولمن بعي قطاع غزة تحت الاحتلال. ما ذنب قطاع غزة، اليوم، حتى تُكال لأهله، ولمن يديرونهم، كل هذه التهم، الأنفاق لم تكن رغماً عن الجيش المصري، ولا بعيداً عن أعينهم، ولكنها أنفاق غير قانونية، تم غض الطرف عنها، حفاظاً على معيشة أهل القطاع، وعدم تجويعهم ورفع قدرتهم في الدفاع عن أنفسهم، وكل المسؤولين في مصر يعلمون ذلك. صحيح كانت هناك وجهتا نظر حول السياسة مع قطاع غزة، ولكن القرار الذي اتخذه الرئيس الأسبق حسني مبارك، أننا لا يمكن أن نجوًع قطاع غزة، والسياسة العامة للجيش المصري كانت، كما اتضح أخيراً، في وثيقة قطاع غزة، والسياسة العامة للجيش المصري كانت، كما اتضح أخيراً، في وثيقة المخابرات الحربية التعاون مع "حماس" وليس محاربتها.

الإرهاب في سيناء، تسرَّب لنا منه جزء إلى القطاع، وليس العكس، ودارت بينهم وبين "حماس" معارك ما تزال ذكراها حيةً وآثارها بادية. نعم، قد تكون هناك علاقة بين هؤلاء الناس وبعض من شاطرهم الفكر في غزة، ولكن هؤلاء لهم علاقات عابرة للحدود، في كل مكان. تهريب السلاح كان وما يزال من سيناء إلى قطاع غزة، وليس العكس، فليس هناك من طريق لتزويد القطاع بالسلاح، سوى سيناء، وليس العكس يا سادة. وكثيراً ما يقال تم الاستيلاء على سلاح شبيه بما تستخدمه "حماس"، وكأن الأمر حكر على "حماس"، نصف العالم يستخدم الأسلحة عينها!

¹³ حصلت الجزيرة على وثيقة مسربة من إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع موقّعة باسم اللواء محمود حجازي، الذي كان مديراً لها، تعود إلى أواخر أيار/ مايو 2012 قبل انقلاب 2013/7/3، وهي تدعو إلى تكثيف التواصل مع حماس، انظر: الجزيرة.نت، 2014/3/27.

هذه الافتراءات التي صورت "حماس" قوة عظمى، ليواجهها الجيش المصري العظيم، حين يقال عنها إنها هي من قتل المتظاهرين، في أحداث 25 يناير [2011]، وهي من اقتحمت السجون وهي من أحرقت المساجد والكنائس، وهي وراء حماية "الاتحادية" وقادة "الإخوان"، أيُعقل هذا؟ وحينما يطلب دليل، يقولون شارة "رابعة" وعرض عسكري، وملابس مكتوب عليها "كتائب القسام"، أو أن القذيفة هي شبيهة بما يستخدمه "القسام" أو عندنا الأدلة، ولا نريد البوح بها! لكنهم يوماً لم يقبضوا على أيّ من أبناء "حماس" أو "الكتائب"، ولا حتى من أبناء قطاع غزة، لأن أبناء قطاع غزة، تحديداً أو الفلسطينيين عموماً، لن يفعلوا شيئاً من ذلك، لعرفتهم مكانة وتأثير وأهمية مصر، بالنسبة لكل واحد منهم.

وقد نجد بعض الأفراد من هنا أو هناك، من لا عقل لهم، وهذا غير مستبعد، لكننا حتى اللحظة، لم نشاهد أياً من هؤلاء يفعل شيئاً ضدّ مصر العزيزة، وشهادة المشير طنطاوي وعنان تؤيد ذلك في هذا الصدد. 14

"حماس" حركة وطنية فلسطينية، تقدم قادتها قبل جنودها، شهداء، فهذا شيخها أحمد ياسين، وجمال سليم، وجمال منصور، والرنتيسي، والمقادمة، ومحمود أبو هنّود، وصلاح شحادة، وإسماعيل أبو شنب، ويحيى عياش، وعماد عقل، وغيرهم المئات من الشهداء. وهناك ضحى عشرات آلاف بزهرات شبابهم في المعتقلات سجناء، من أجل وطنهم، "حماس" حركة مجاهدة، ضربت تل أبيب والقدس بصواريخها، ومن قبل باستشهادييها، في كل مدن فلسطين، وقاومت وصمدت أمام الصهاينة في حربين 2009/2008 و2012، ولم تصمد أمامهم جيوش عربية جرَّارة.

¹⁴ هذا ما جاء في شهادة طنطاوي، وتحديداً في إجابته على السؤال التالي:

س 27: هل أبلغت بدخول عناصر من حماس أو حزب الله عبر الأنفاق أو غيرها لإحداث اضطرابات؟

ج 27: هذا الموضوع لم يحدث أثناء المظاهرات، وإحنا بنقاوم الموضوع ده، واللي بنكتشفه بندمره، وإذا كان فيه حد محوّل لمحكمة فهذا ليس أثناء المظاهرات.

انظر: شهاد المشير حسين طنطاوي في قضية قتل المتظاهرين، صحيفة اليوم السابع، القاهرة، 2012/6/2.

"حماس" حركة أصولها إخوانية، و"الإخوان" في غير فلسطين حركة دعوية إصلاحية سلمية، وفي فلسطين حركة جهادية وطنية، لتحرير أرضها، وعودة شعبها. "حماس" اقتصر جهادها على ثرى وطنها، وعملها بين أبناء شعبها، حيث وجدوا دعماً وحشداً لهم من أجل وطنهم، لم يصفها أحد بالإرهاب سوى عدوها الصهيوني، وداعميه، والخلاف السياسي في الإطار الوطني، أو القومي، يجب ألا يتخطى حدوده، بإدانة المقاومة، أو المساس بها أو بقدراتها.

الذين يهاجمون "حماس"، لماذا لا يفعلوا ذلك ضد الصهاينة، وضد اتفاقيات كامب ديفيد، ووادي عربة، وأوسلو، والاتفاقيات التي اعترفت للصهاينة باغتصابهم لفلسطين، وحصر أولئك المهاجمين خلافاتهم بالطرق السلمية لإقامة دولة فلسطينية من بقايا الوطن. إن تصريحات الإعلاميين، والخبراء الأمنيين، وبعض السياسيين ضد "حماس"، ولد كراهية المصريين ضد الفلسطينيين، وليس ضد "حماس" فحسب، خاصة أن الكثير من المصريين لا يعرفون ما هي "فتح"، ولا يعرفون الفصائل الفلسطينية، فمنذ خريف هي "حماس"، وما هي "فتح"، ولا يعرفون الفصائل الفلسطينية، فمنذ خريف الوجود على أرض مصر، وحتى اللحظة لا يوجد للفصائل الفلسطينية جميعها سوى تنظيم "فتح"، أي وجود يذكر، لإبراز المعلومات، والتعريف بالقضية، ولا مكاتب سياسية، ولا منابر إعلامية، ولا وجود تنظيمي.

والإخوة في "فتح" أغراهم هذا الوضع، واستغلوا الوضع المصري الشائك، وأكلوا اللحم الحرام، بدوافع سياسية، ومالأهم آخرون في الساحة الفلسطينية، انطلاقاً من أيديولوجيات حاقدة، تركها أصحابها، وجرّبها شعبنا طويلاً، ثم لفظوها. مع كل ذلك ستبقى "حماس" وفية لمبادئها، تعرف مصالحها، تحس بنبض شعبها، فلن تبادل العدوان بمثله، ولا الافتراءات الإعلامية بافتراءات مضادة، ولن تتدخل في شؤون أحد، أيا كان، خاصة مصر.

إن قطعوا الاتصال، سنحرص عليه، وسنبقي القنوات مفتوحة، فمصالحنا مع من يحكم، ويختاره الشعب المصري العزيز، ولا دخل لنا، من قريب أو بعيد، بسياسات مصر الداخلية، وسنوضح للعيان حقيقة الاتهامات بدون ألفاظ نابية، ولا كلمات جارحة، ولن نقابل الإساءة بالإساءة، رغم كل الضرر الذي حصل لنا، وللمقاومة، وللشعب الفلسطيني في قطاع غزة.

فالحصار الصهيوني لنا هو الأطول في التاريخ البشري، ثماني سنوات طوال، وبسببه كانت الأنفاق، التي أمدت القطاع بالمال والسلاح والطعام والشراب والدواء ومواد البناء ومستلزمات الحياة، وبإغلاقها يعاني الجميع من فقدان كل ذلك، خاصة أن الدولة المحتلة قانونيا، لا تقوم بالتزاماتها تجاه شعب تحت الاحتلال، وفرضت عليه حصاراً، هي والراعية الدولية، حتى يقبل شروطاً سياسية تنتقص من حق شعبنا، وثواتبه الوطنية، ومستقبل أبنائه.

نحن ندفع نحو تمسكنا بحقنا في المقاومة، ورفضنا الاعتراف بالصهاينة، أو بالتزامات الآخرين تجاه (إسرائيل)، والأمر ليس متعلقاً بنا كحماس، بل بمواقفنا السياسية، ولو ملنا عنها، لمالوا لنا. ولو ركنا إليهم، لأعطونا أكثر مما يعطون الآخرين، ولكنه الوطن، لكنه الدين، لكنه المقدّس.

لماذا كل هذا؟ سألني ذلك السفير الروسي، وغيره الكثير، قلت: هناك عدة أسباب، نستطيع أن نوردها، وقد يكون أحدها أو بعضها أو كلها:

- 1. اختلاق عدو خارجي، لتوحيد الجبهة الداخلية حوله، وجعل الناس يعتقدون أن مشاكلهم تأتي من خارج الحدود، وليس من داخل البلد. وهذا هدف في السياسة يمكن تفهمه، خاصة إذا كان العدو ذا كيان هش، لا يقدر على المواجهة، أو لا يستطيع أن يدافع عن نفسه. بعد الحرب الباردة جعلت الولايات المتحدة الأمريكية بن لادن عدوها المركزي، وباتت تطارده في كل مكان. وهذه مسألة لا نستطيع حيالها فعل شيء، إلا التذكير بأننا لا يمكن أن نكون عدواً محتملاً، فمصالحنا وتاريخنا وعلاقاتنا تأبى ذلك، حتى لو فرضت علينا، فرضاً، فلن نقابل السيئة بمثلها.
- 2. ارتباط "حماس" بالإخوان: من المعلوم أن الهجوم على "الإخوان" بدأ مبكراً وتأخر الربط بيننا لبعض الوقت وهذا الأمر ليس بالجديد، فلم يقل أحد غير ذلك. وإن غابت العلاقة العضوية التنظيمية، بل إنَّ منهج "الإخوان" إصلاحي،

دعوي خيري، أما "حماس" فحركة وطنية فلسطينية مقاومة، تواجه احتلالاً لأرضها، وشعبها لاجئ مشرد، فأولويات "حماس" الوطنية بعيدة عن أولويات بقية "الإخوان"، في أقطارهم المختلفة، وكما يعلم الجميع فإننا أقمنا علاقات مميزة مع الحكومة السورية، وهي معادية للإخوان، بل تحكم قوانينها عليهم بالإعدام.

- 3. التزامات تجاه الصهاينة، أقلها الاتفاقيات الموقعة، وحركتها والضغوط الأمريكية، وكلنا يعلم أن ضغوط الصهاينة والأمريكان لا تتوقف على مصر والعرب، حتى تُنبذ "حماس" ويبقى حصارها.
- 4. "حماس" والفلسطينيون الطرف الأضعف والهجوم عليهم والاتهامات لهم، بل إيذاؤهم، لا يترتب عليه ضرر داخلي في مصر، تخيل لو حدث هذا مع أي قطر عربي، خاصة إذا كانت فيه عمالة مصرية ظاهرية، خذ مثلاً الخلاف مع الجزائر على الكرة، كم كلّف مصر من خسائر في الاستثمار والعمالة المصرية؟ أما نحن، فالمثل المصري يقول (الحيطة الواطية) هؤلاء هم نحن.
- 5. هروب بعض الأجهزة من تحملها لمسؤوليتها، وأسهل شيء فبركة الاتهامات والإكثار من الإشاعات وفتح بوابة القنوات الفضائية، وأضرب لذلك أمثلة:
- ابتدأت حكاية اتهام "حماس" بتفجير كنيسة القديسين، وثبتت براءة الحركة، وكذلك بقتل ثوار 25 يناير، وتسريبات المكالمات المفبركة، وقضية اقتحام السجون، التي حققت فيها لجنة تقصي الحقائق، ولم تذكر كلمة واحدة عن "حماس"، سوى هتاف بعض البدو لها أمام سجن وادي النطرون، الذي ليس فيه أي أجنبي، حسب شهادة د. سعيد محمد عبد الغفار، الواردة في تقرير لجنة تقصى الحقائق، التى شكلها المجلس العسكري. 15
- اتُهمت "حماس" بقتل الجنود في رفح والشيخ زويّد، ثم ألقوا القبض على القاتل، حسب بيانات الجيش المصري ووزارة الداخلية.

 $^{^{15}}$ تقرير لجنة جمع المعلومات والأدلة وتقصي الحقائق حول أحداث ثورة 25 يناير، الجزء الأول، 2012 بقرار جمهوري 2012/10، والمعدل بالقرار الجمهوري 2012/12.

- حادثة الاعتداء على المستشار الزند، واتهام خمسة شباب بأنهم من "حماس"، وبعد ذلك تبين كذب الادعاء، وأنهم مصريون، إلا واحداً، كان مصرياً من أصل فلسطيني، وليس له انتماء سياسي.
- السبعة المرحّلون من مطار القاهرة، واتهامهم واتهام "حماس" بحمل خرائط وصور لأماكن استراتيجية، ثم تبين غير ذلك، وتمّ تسفيرهم إلى غزة.
- الادّعاء بإرسال "كتائب القسام" مرة 300 عنصر ومرة أخرى 7,000 عنصر، لحماية د. محمد مرسي، وقصر الاتحادية، ثم غاب الخبر لانتفاء الأثر، ولم يوجد عنصر واحد من كتائب القسام في مصر، ولم يشاهد أحد هذه الآلاف.
- فتنة الخصوص، والكاتدرائية بالعباسية، واتهام "حماس" و"كتائب القسام"، ثم يقدم للمحاكمة غيرهم ممن تسبب فعلاً، في الحادث، ثم سكت الصحفي الذي أطلق الإشاعة.
- خطف الجنود السبعة، سرعان ما اتهم الخبراء العسكريون "حماس" باختطافهم، وتبيّن، بعد إطلاق سراحهم، غير ذلك.
- ومن النماذج التي تداولتها الصحف ووسائل الإعلام المصرية المسموعة والمرئية، قصة الفلسطينيين الأربعة، من عائلة حجّاج وعيّاد، والادعاء أنهم من "حماس"، وتمّ إلقاء القبض عليهم، وبحوزتهم سلاح ومتفجرات في المقطم، بمقر جماعة "الإخوان المسلمين"، وتبيّن كذب ذلك.
- ادّعوا كذلك أن حراس المرشد، عند ظهوره في ميدان رابعة، كانوا فلسطينيين، وسموا ثلاثة منهم، على أنهم من "كتائب القسام"، وتم القبض على المرشد، ولم يكن معه أحد، وتبين بعد ذلك أن بعض الأسماء المذكورة لم يدخل مصر، اطلاقاً، وأحدهم مرّ عبر مصر متوجهاً للعمرة.
- اتهم البعض "كتائب القسام" بحماية "رابعة"، واعتلاء العمارات، وزعموا وجود فلسطينيين كُثرُ في الاعتصام، ولم يعتقل، ولم يتهم أي فلسطيني، عوضاً عن كونه من "كتائب القسام"، وبشهادة وزير الداخلية نفسه، بعد فضّ "رابعة".

- ردّد بعض الخبراء الأمنيين والاستراتيجيين مقولة اختباء قادة "الإخوان"، مثل محمود عزت، وأسامة ياسين، وعصام العريان ومحمد البلتاجي، في غزة، وتبين عند اعتقال بعضهم، كذب الرواية وسخفها.
- ومثال آخر، ما نشرته "الأخبار" في الجريدة شبه الرسمية بتاريخ 2014/1/28، من أنَّ حركة "حماس" قامت بارسال "كتائب القسام" بقيادة المجاهد أحمد الجعبري، الى مصر، لتخريب احتفالات الذكري الثالثة لثورة 25 يناير المجيدة، مع العلم أنَّ الجعبري استشهد في شهر 2012/11. وما يشاع، أخيراً، من أنَّ الرصاص المستخدم في قتل الثوار هو الرصاص الذي أرسلته مصر للشرطة الفلسطينية، في 2007، وللأسف هذا الرصاص وجّهته الأجهزة الأمنية التابعة لحركة "فتح" الى صدور اخوانهم أثناء الفتنة الداخلية، ولم يُسلم لحماس منه شيء، والرصاص بأيدى مقاومينا ليس رصاصا مصريا قطعا، وغيرها الكثير.
- 6. الخلافات الداخلية الفلسطينية، وكون مصر الراعى للمصالحة، وهم أكثر الأقطار تأثيراً في الساحة الفلسطينية، لا سيّما في قطاع غزة، فقد تمّ تسريب المئات من الأخبار الكاذبة، والروايات المزعومة، وتمّ نشر مئات من هذه التسريبات. وتم ذلك، سواء بالإطار الحزبي أو الإطار الرسمي، فسفير فلسطين، مثلاً، لا تمر حادثة إلا ويدعو "حماس" لعدم التدخل في الشأن المصرى، وهو يعلم ألا علاقة لحماس بالشأن الداخلي، ولكنه لمزُّ من طرف خفي، وكذلك يفعل الرئيس الفلسطيني، فهو لا يكلّ عن دعوة "حماس" بعدم التدخل في الشؤون العربية، ولعله أيضاً، يعلم من هم الذين يتدخلون في الشأن العربي، ويؤيدون أطرافاً على حساب أطراف أخرى. وهناك فئة أخرى، ألفت النفاق، طلبا في الرضى، على حساب شعبهم ومبادئهم، ووالله إن من يفتحون لهؤلاء القنوات الفضائية والجرائد لا يرضون لهم هذه الوقفات، ويستهجنون تلك المواقف، لأنه في النهاية، المتضرر الوحيد من كل ذلك هو الشعب الفلسطيني. "حماس" أيها الأخوة، ممنوعة من دخول مصر، منذ عقود، ولا ندخلها إلا

بالتنسيق الأمنى، حتى في فترة رئاسة د. محمد مرسى، ولا وجود لحماس في

مصر، لا مكاتب ولا مؤسسات ولا مراكز معلومات، والشعب المصري لا يميّز بين "فتح" و"حماس"، والدليل على ذلك ما حصل مع سائق نبيل شعث، حيث سجن أسابيع بتهمة "حماس" وهو مصري، ولكنه كان يحمل كوفية مكتوباً عليها "حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) إقليم مصر"، فضرب ضرباً مبرحاً على أنه جعل مصر إقليماً عند "فتح".

إلى ذلك، هناك من يناشدنا بأن نعلن انتماءنا الوطني، ونبتعد عن تنظيم "الإخوان" الفلسطيني، ذلك التنظيم الذي أُنشئ في فلسطين عام 1936، وما زال ممتداً، حتى يومنا هذا، وهو تنظيم مستقل، إدارياً وتنظيمياً، وقيادة وأعضاء، ولم نتعامل مع "الإخوان المسلمين" في مصر، إلا من خلال قنوات الدولة الرسمية، فإن هي سمحت اتصلنا بهم وبغيرهم، وإن منعوا امتنعنا.

- 7. ما اعترف به أخيراً محمد دحلان بأنَّ له رجالاً وطنيين في مصر، وأنه هو من ساهم في تقويض "الإخوان" في مصر والخليج، وأنَّه يقدم المساعدة في هذا الصدد، وهذا صحيح لأن مجمل ما عند الإمارات من تقارير يزودهم بها دحلان، وتم تمريرها إلى الإخوة في مصر هنا، وكانت هذه المعلومات لدينا معلومات يقينية، ولكن بعد أن ذكرها محمد دحلان بنفسه، في دفاعه عن ذاته، بعد اتهامات أبى مازن له، باتت دليلاً على من يتدخل في شؤون الآخرين.
- 8. وجود علاقة بين ما يحدث في سيناء وبعض المتطرفين في قطاع غزة، والعلاقة قد تكون تدريباً أو تسليحاً أو معلومات، أو غير ذلك، و "حماس" مسؤولة عن قطاع غزة. وبحكم الأمر الواقع، هي مسؤولة عن كل ذلك، فهي مطالبة ببذل كل الجهد لسد كل ضرر، يأتي من القطاع، وهذه مسؤولية "حماس" عليها أن تتحملها وتقوم بها، وهي تفعل ذلك. ولكنها لا تستطيع ضمان الأمن 100%، حتى إن بذلت من الجهد أقصاه.
- 9. غسل اليد من القضية الفلسطينية (مالنا ومالهم)، و(واللي يلزم البيت يحرم على الجامع)، و(عندنا ما يكفينا من المشكلات)، وأرجو أن أكون مخطئاً في كثير مما ذكرت.

في النهاية، أروي طرفة لصعوبة حقيقة ما يشعر به الفلسطيني، ذلك أنه جاء إبليس ينصح ابنه، قائلاً: يا بني لا تظن إغواء البشر بالأمر اليسير... اغوه بالنقود إذا كان فقيراً، وإذا قام للصلاة ذكّره بدفء السرير، وإذا كان مزارعاً اذكر له سرقة الحمير، وإذا كان مهندساً اغوه بالإسمنت والجير. فقال ابن إبليس الصغير، يا أبتي وإن كان فلسطينياً؟

فبكى إبليس الكبير وقال لابنه لا تكن شريراً، دع الفلسطيني فأمره عسير، وفي دنياه يعيش في سعير، دعه يا بنى فعمره قصير.

(انتهى مقال د. أبو مرزوق)

خامساً: لمسة وفاء:

"هناك بعض اللوجوه اللتي الأول نظرت الميها شعرت بالراحة والطهأنينة، والأولا تعاملت معها وجرت أنك في رحاب الحنيرين من أبناء هزه اللئمة، والأولا استبعت الميه في وائرة اللتعليل السياسي أوركت عبق اللوعي اللزي يتبتع به وحجم المعطيات اللتي ترشع منها قراء الته وتفسير الته للأحراث. المعطيات اللغ موسى أبو مرزوق في مسيرته الحركية واللرعوية ومنظومته اللقيبية يعطيك مشهراً الصعابي جليل في مروناته اللسلوكية مع أهل بيته والمخوانة من حوله"

(د. أحمد يوسف)

لم تكن علاقة د. موسى أبو مرزوق بالشيخ أحمد ياسين علاقة فكرية أو تنظيمية فقط بل كانت أعمق من ذلك، فقد تعرّف أبو مرزوق على الشيخ ياسين منذ أن كان طالباً في المرحلة الثانوية، والتقى به مرات عدة، وأدرك فكره التنظيمي قبل أن ينتظم بشكل رسمي في صفوف جماعة الإخوان المسلمين، وبقي على تواصل معه بعد سفره إلى مصر للدراسة، وظلَّ يستقبل منه توصيات أخوية بخصوص الطلاب الجدد، ولم ينقطع عن زيارته كلما سمحت له فرصة لزيارة غنة وأهلها الميامين، حتى كان الشيخ ياسين سبباً في الإشارة المباشرة على

أبو مرزوق ليقترن بالأخت الفاضلة نادية العشي، لقد كان الشيخ أحمد ياسين بمثابة الروح التى تُحرك الشباب الثائر للعمل والعطاء في الميادين كافة.

لذلك سطر د. أبو مرزوق شهادة وفاء وتقدير للشيخ أحمد ياسين، الظاهرة المعجزة في القرن العشرين، فبدأ هذه السطور بأبرز المواقف التي جمعت بينهم، وأجمل الذكريات التي بقيت شاهدةً على مسيرة العمل والتضحيات، وعمق الإخوة والعطاءات.

يقول الدكتور موسى أبو مرزوق: مواقفي مع الشيخ ياسين عديدة وإنْ كانت متقطعة ومتباعدة؛ بسبب سفري المبكر من غزة، وتواجدي خارج فلسطين وهو في داخلها، إلا أنَّ الذاكرة مليئة بالمواقف التي لا تُنسى، أبرزها ما يلي: 16

الموقف الأول يتعلق في التوجيه الذي صاحبني ولم أستطع تنفيذه؛ لأنه خارج قدراتي، وذلك بأن ألتحق بالكلية الحربية في مصر عند الانتهاء من الثانوية العامة، وفي السنة نفسها 1969 تم إلغاء دخول الفلسطينيين للكلية الحربية.

الموقف الثاني يوم أن عدتُ إلى غزة بعد تخرجي مباشرة من الجامعة وقابلته يومها، وكانت هناك مشاكل كثيرة بين الطلاب في مصر، واقتضى الأمر اتخاذ إجراءات وقرارات بعيدة عنه أو عن قيادة التنظيم في الخارج، مما أدى إلى فصل عبد العزيز عودة من الجماعة. وعندما سألني عن تلك المشاكل اعتذرت عن الإجابة؛ فقبل ذلك وامتدح الموقف، وإن كان عندي شعور بأن عنده علم بكل التفاصيل، ولكنه احترم موقفي كمسؤول، انطلاقاً من قضية شرعية، وانتهى الأمر.

الموقف الثالث عند خروجه من السجن في صفقة أحمد جبريل، سألته هل أنت نادم على ما أقدمت عليه بخصوص العمل العسكري؟ فكان جوابه: "لا، بل ازددت قناعة بأن لا مستقبل للجماعة بدون مواجهة الاحتلال عسكرياً والإعداد له ونحن على الطريق نفسه"، وعلى هذا استمر في العمل العسكري بالرغم من صعوبة الظروف ووضعه الصحي.

مراسلة للكاتب مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2018. 16



الموقف الرابع عند خروجه من السجن ونقله للأردن للعلاج، واستقبلته بعد غياب طويل، وبدأت وفود الأردن الشعبية فلسطينيين وأردنيين، ويأتي الوفد مسلماً عليه وإذا به يذكر الاسم وكأنه يعرفه منذ عقود، فسألته: "إيه الحكاية، تذكر الكثير من أسماء الشخصيات وأنت لم تقابلها بعد؟" فقال: "لقد شاهدتها مرة أو مرات على التلفزيون فانطبعت في ذاكرتي ومن الصعب نسيانها، وإني لأستغرب كيف ينسى الناس ما يمر بهم من أحداث"، فقد كان للشيخ ذاكرة لم أشاهد مثلها في حياتي.

الموقف الخامس يوم استقبالي للرئيس عرفات والملك حسين رحمهم الله، حيث فوجئت بالديوان الملكي يهاتفني بأن جلالة الملك يريد الحديث معك، فاستقبلت المكالمة فإذا به يقول أبو عمار يريد عيادة الشيخ في المستشفى، وأريدك معي في استقباله فشكرت له ثقته وحسن تلطفه، واستقبلنا الرئيس عرفات على باب المستشفى، وصعدنا عند الشيخ وانسحب الملك من الجلسة وجلس في غرفة مجاورة وبقيت أنا أتردد مرة مع الشيخ وأبو عمار ومرة مع جلالة الملك، وفي إحدى المرات كنتُ جالساً عند الشيخ وأبو عمار فإذا بأبي عمار يقول لي هل تعلم يا موسى بأننا أبناء مدرسة واحدة، وصف واحد، ولكن للأمانة كان الشيخ أشطر مني في الصف، اسأله يقول لك! وأنا لم أسأله ولم يُكذب الشيخ رواية أبي عمار، وبقي الشيخ صامتاً، كنتُ أعلم أن بينهما في العمر عشر سنوات، وأنَّ الشيخ درس في مدارس الوكالة في غزة، وأبو عمار درس في المدارس المصرية في العباسية في القاهرة، وأن الشيخ لم يقابل أبا عمار في حياته، وهذا هو اللقاء الأول بينهما، ولكن أدب الشيخ وحسن تلطفه لم يعترض على كلام أبي عمار، وهذا الأسلوب يستخدمه أبو عمار رحمه الله لكسب القلوب والتقرب للشخصيات.

الموقف السادس كان يوم أن صدر موقفه الكريم تجاه معالجة مسألة الداخل والخارج، واللائحة الداخلية للحركة، ومواقف إخواني في الخارج المتصلبة وغضبه الشديد من ذلك، وفي المساء طلب أن يراني، وطلب النصيحة وبيده كانت شرعية القيادة في الخارج وأمر القيادة في الداخل، فقلت له وحدة الصف مقدم على كل شيء، ومن هي القيادة فهذا شأن إداري لكن مكانك محفوظ وكريم، ويجب أن

يبقى بعيداً عن الشؤون الإدارية وتقلباتها فلا نتوقف كثيراً أمام ما حدث، وقد كان بعدها عند عودته لغزة حينما سأله أحد الصحفيين عن القيادة فأشار بأن قائد الحركة الأخ أبو الوليد.

كانت علاقتي بالشيخ أحمد ياسين أكثر من كونها بين أخ ومسؤوله، كانت علاقة الوالد بابنه أو الأخ الكبير مع أخيه الصغير، علاقة فيها من الخصوصية الشيء الكثير، فكان أحياناً يبث لي هموم العمل وتحدياته، وأحياناً يُوصيني اهتماماً بفلان، وأحياناً يُرسل لي أناساً في الخارج حتى أرعى مصالحهم، وأحل بعضاً من مشاكلهم، كان تواصل الشيخ معي تواصلاً خاصاً، ومستمراً، لم ينقطع لحظة واحدة، وأعتقد أنَّه تواصل فوق تنظيمي، تواصل أخوي بامتياز، وللحق أقول كانت العلاقة نفسها مع الأخ خيري الأغا، وكنتُ محل أسرارهما وما لا يريدان أن يبوحا به رحمهما الله رحمة واسعة.

أما عن ليلة استشهاد الشيخ ياسين، فقد حدث أمرٌ عجيبٌ مع أبو مرزوق، كما تصفه نادية العشى، إذ تقول:

كان أبو عمر مسافرا إلى بيروت للعمل، ورجع إلى البيت في دمشق بعد الواحدة ليلاً، ورأيته يحاول الاتصال، فقلت له: "الجميع الآن نائم بمن ستتصل؟" قال: "في الشيخ أحمد ياسين"، قلت: "حرام عليك دعه نائماً، بقي ساعة ويستيقظ للقيام، وصلاة الفجر، عندها تستطيع الاتصال حينئذ". وعندما سألته عن الموضوع الهام غير المؤجل إلى الصباح، قال: "كنتُ في لبنان فإذا بأحد الأخوة يبلغني أن مفتي صيدا—وهو رجل صالح فوق التسعين—يريد رؤيتي بإلحاح، فذهبتُ إليه، فإذا به يقول: "إنه رأى رسول الله في المنام وكنتُ حزيناً لما وصل اليه حال الأمة، فسألته: يا رسول الله كيف ينتصر الإسلام؟ فالأمة الإسلامية فيها فتنٌ كثيرة، فقال في: ينتصر بالعلماء والمجاهدين، وكوني عالماً سألته: أنا منهم يا رسول الله؟ فقال: أحمد ياسين منهم"، فأردتُ أن توصل هذه الإشارة للشيخ أحمد، لقد فرحتُ جداً للشيخ ياسين بهذه الرؤيا وأريد أن أبشره، لكن لم نستطع الاتصال به".

ونمنا، فقد كان أبو مرزوق متعباً من سفر البر، وإذا بنا نستيقظ على تلفون المتحدث من غزة لينقل لنا خبر استشهاد الشيخ، فقلت: سبحان الله يأبى

الله عز وجل إلا أن تكون البشارة عملياً للشيخ نفسه، نسأل الله له القبول والرحمة، وأسال الله العلي العظيم أن يكرمني وأبا عمر—صاحب الحس المرهف والذي تأثر جداً برؤيا الشيخ—بلقاء الشيخ في الفردوس الأعلى، وأن يرزق أبا عمر الإخلاص في القول والعمل والقبول ويكتب على يديه الخير لهذه الأمة والنصرة للضعيف ونصرة الحق والحفظ حفظاً تاماً كاملاً.

وفيما يتعلق بهذه النهاية الجميلة—الشهادة في سبيل الش—التي أكرمها الله تعالى للشيخ ياسين، والحب الذي قذفه الله تعالى في قلوب ملايين البشر، فقد وصفه أبو مرزوق بقوله:

بعد صلاة الفجر بقليل كانت زوجتي أم عمر تنظر إلى التلفزيون، وفجأة انتقلت الكاميرا إلى قطاع غزة، حيث خبر استشهاد الشيخ أحمد ياسين والصور التي بدأت تتدفق بشكل متسارع، عندها نبهتني أم عمر إلى هذا الخبر الذي لم يكن مفاجئاً بالنسبة لي، بل كان خبراً مُريحاً أكثر من انزعاجي منه، فراحة المجاهد بهذه المكافأة الجميلة لا تُقدر بثمن، ولا يمكن أن تُنال إلا اصطفاء، فعلاً لم أكن منزعجاً من شهادة الشيخ ياسين لأني كنتُ أعرف مدى مرضه، فتواصلي لم ينقطع معه حتى في أحلك الظروف، آخر مكالمة بيننا كانت قبل استشهاده بيوم أو يومين، كان صوته ضعيفاً، وكنتُ أعتقد أنَّ أفضل شيء هو أن نودعه فجاء الوداع بشكل آخر.

بلا شكّ استشهاد الشيخ أحمد ياسين أمر جلل، ذكرتُ سابقاً أنه منذ وفاة الرسول هي إلى الآن لم يخرج أحد من المسلمين كما خرج الناس في جنازة الشيخ أحمد ياسين، الأعداد التي خرجت لا يستطيع أحد أن يحصرها؛ لأنها خرجت من جميع أنحاء العالم، في أمريكا، وأوروبا، وأستراليا، بالإضافة إلى كل عواصم العالم العربي والإسلامي، الجميع خرج مشيعاً الشيخ أحمد ياسين، ومستنكراً الجريمة التى ارتكبت بحقه.

 $^{^{17}}$ مراسلة للكاتب، غزة، مع زوجة الدكتور موسى أبو مرزوق السيدة نادية العشي، الدوحة، تشرين الأول/ أكتوبر 2018.

أعتقد أنَّ غزة التي سجلت عدداً حاشداً في تشييع الشيخ أحمد ياسين كانت أقل الأماكن عدداً مقارنة بالساحات الأخرى، وهذا يعكس مدى حب الناس لهذه القامة الوطنية والقيمة الإنسانية، فالشيخ ياسين كان شيئاً آخر في وجدان الناس وأذهانهم. أعتقد أنَّ المسألة ربانية أكثر من أنها تأثير شخصي، بمعنى أننا إذا تحدثنا عن جانب القيادة التنظيمية على الأرض فهناك من قاد قبله بمراحل مثل الأستاذ حسن القيق، ولو تحدثنا عن القيادة داخل قطاع غزة نستطيع القول بأنَّ الأستاذ عبد الفتاح دخان هو الذي كان متصدراً للعمل الدعوي والتنظيمي، ولو القينا النظر على الجهاز التنفيذي للحركة نجد أنَّ الأخ خالد مشعل عنواناً بارزاً لهذا الأمر ولم يكن الشيخ أحمد ياسين، وإذا تحدثنا عن المنظمات الدولية ياسين لم ينتمي لأي منظمة دولية سوى الإخوان المسلمين وحركة حماس، إذن كيف وصل ينتمي لأي منظمة دولية سوى الإخوان المسلمين وحركة حماس، إذن كيف وصل ويتوعدوا من قتله بالمحاكمة القضائية، برأيي إنَّه حب الله تعالى، الذي أمر ملائكته بحبه فنادوا في أهل الأرض أن أحبوه، فأحبه الناس، وهذه من علامات الصلاح بحبه فنادوا في أهل الأرض أن أحبوه، فأحبه الناس، وهذه من علامات الصلاح من جسمه، ولما اغتاله الاحتلال الصهيوني لم يجدوا من جسده شيئاً لدفنه.

إنَّ عبقرية الوفاء والاستشهاد لهذا الرجل العظيم جاءت رحمة من رب العالمين، فياسين منذ الخمسينيات حتى استشهاده سنة 2004 كان في معاناة حقيقية، نحن لا يمكن أن نتخيل حجم المعاناة التي يعيشها شاب كان يتمتع بكامل الحيوية والنشاط ثم يُصبح غير قادر على المشي في مرحلة مبكرة من عمره، غير قادر على الكتابة، وفي مرحلة متقدمة يُصبح غير قادر على الأكل والشرب، وفي ومرحلة أخرى لا يستطيع أن يخدم نفسه، أعتقد أنَّ هذا يحتاج إلى قدرات نفسية هائلة، لا يستطيع تقديرها إلا ربّ العالمين.

ويُواصل أبو مرزوق حديثه عن الشيخ ياسين بتساؤله الاستغرابي عن الجماهير الغفيرة التي خرجت في ماليزيا وأندونيسيا ونيجيريا تهتف باسم الشيخ ياسين دون أن تعرفه، أو تقابله، ولم يتحدث ياسين معها في أي مكان، حتى في خطابه العام كان صوته منخفضاً، كلماته قليلة، مُقل في حديثه، بمعنى أنه لم

يكن خطيباً مفوهاً. بالتأكيد هناك قوة أخرى كانت تبعث في الناس شيئاً آخر لا تستطيع تفسيره غير أنَّ الله تعالى وضع له القبول في الأرض.

إن إقدام الاحتلال الصهيوني على اغتيال ياسين كان خطأ استراتيجياً بالنسبة له؛ لأنّه عَمّق الفكرة التي نادى بها، ووضح الاتجاه الذي سار فيه، وزاد من شعبية الناس لحماس، وزاد الانتماء العربي لمقاومة الاحتلال وأعوانه الفاسدين، وأظهر قيادات جديدة. ولو تُرك في تلك اللحظات دون اغتيال لكان من المكن أن يذهب إلى السماء دون الحاجة إلى تلك الصواريخ، لكنه قدر الله تعالى وحكمته الغالبة.

ويذكر أبو مرزوق نقطةً فارقة في حادثة استشهاد الشيخ ياسين، وهي تبخر جسده في أرجاء الأرض: فالناس التي أدركت الحادثة لم تجد من جسده سوى بعض البقايا التي دفنت في كيس بلاستيك لا يتعدى وزنة 2 كيلو جرام. وهذا يؤكد لنا أنَّ الشيخ أحمد ياسين لم يكن قيمة لحماس فقط، أو شخصية فاعلة في تاريخ الثورة الفلسطينية، بل كان قيمة للناس كافة، وخصوصاً البسطاء منهم، الذين أخذوا قسطاً وافراً من جهد ياسين ووقته الثمين. وأذكر هنا أني كنتُ أزوره فأجد عشرات الأسر تقف أمام بابه، فأقول له: لماذا تُتعب نفسك بهذه القصص يا شيخ؟ تُصلح بين زوجين أو متخاصمين أو متعاركين، فأنت لا متسع في وقتك لمثل هذه المواضيع التي يمكن للآخرين أن يقوموا بها، فكان يُجيب رحمه اللهُ أنَّ حل هذه المشاكل والاهتمام بالمجتمع وفئاته المختلفة لا تقل أهمية عن الاجتماع حل هذه المشاكل والاهتمام بالمجتمع وفئاته المختلفة لا تقل أهمية عن الاجتماع من قيمة إصلاح ذات البين، وجعله من الضروريات التي تُبيح للمعتكف في المسجد أن يخرج من اعتكافه للإصلاح بين الناس.

إن استشهاد الشيخ أحمد ياسين أحدث فارقاً كبيراً، وفراغاً مهماً في قيادة الحركة وكوادرها، لكن في الوقت ذاته كان استشهاده إضافة نوعية للحركة الإسلامية على وجه الخصوص، وللقضية الفلسطينية بشكل عام. فالحركة ازدادت متانة وقوة ومنعة، فغيابه الجسدي عن طريق الشهادة أحيا نفوساً، وقوى عزائم، وأوضح الطريق؛ لأنَّ حقيقة الشهادة هي الحياة وليس الموت،

قال الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَحَسَبُنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللّهِ اَمُواتًا بَلُ أَحْيااً وُعِندَ رَبِّهِم يُرْزَقُونَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 169]. والحياة لا تقتصر على جسده أو روحه المعلقة بالقناديل فقط، بل إنَّ حياته تستمر بأفكاره، وتتعمق بمبادئه. فمن كان يرى فيه رمزاً وهو حيّ يحاول أن يُعوضه بالانتماء، وحسن الاقتداء، وهذا ما حصل حقيقة ففي غياب الشيخ ياسين؛ قويت الحركة واتسعت، وتجذرت، وتعمقت، وأصبح انتشارها بارزاً عندما خرجت روح الشيخ من الجسد، كانت الروح مقيدة، وبخروجها مُلئت الأرض بهذه الرائحة الزكية؛ فخرجت الناس في كل العالم لتشتم رائحته الزكية، وهذا شكل انتشاراً واسعاً لحماس لم تعهده من قبل، وإلا فدلني على إنسان خرجت له الدنيا كما خرجت للشيخ أحمد ياسين. 18

سادساً: الإنسان موقف:

"(الشجاعة أهم الصفات اللانسانية؛ الأنها الصفة التي تضهن باتي الصفات"

(أرسطو)

في 2018/10/5، تواصلتُ مع مجموعة كانت وما زالت مقربة من شخص د. موسى أبو مرزوق؛ بهدف رصد أهم المواقف الإنسانية التي صدرت عن شخص أبو مرزوق بترتيب أو دون ترتيب مسبق، والتي تُعرف بردات الفعل نتيجة المواقف المختلفة، فالإنسان كما نعلم لا يظهر معدنه إلا بالمعاشرة التي تكشف طبعه الدفين وأخلاقه التي ينتمي إليها، أعلم أنَّ أبو مرزوق له من الأحباب الكثير إلا أنني اقتصرتُ على عدد محدد من الشخصيات خشية الافراط المكرر.

الأول/ أكتوبر موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر مقابلة مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2012. (بتصرف)

ومن الجميل أن نبدأ براوية السيدة نادية العشي، زوجة أبو مرزوق، فهي أكثر الناس دراية به وأعمقها وصفاً.¹⁹

1. شهادة نادية العشى:

تقول الأستاذة نادية إنها مواقف لا تُنسى في مشوار حياتي مع د. موسى أبو مرزوق، وفي تصوري ومن خلال معايشتي له اجتمعت فيه الغالبية الساحقة من صفات الخيرية والكمال الإنساني، بقول الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ خَلَقُنَا اللهِ نَسَنَ فِي آخَسَنِ تَقُومِهِ ﴾ [سورة التِّين، الآية: 4].

إنَّ من أفضل وأجمل ما يُوصف به ابن آدم أنه "إنسان"، فأنت تمدح شخصاً حينما تصفه أنه إنسان، والصفات الإنسانية كثيرة منها: الحب، والرحمة، والعطف، والشفافية، والصدق، والعاطفة النبيلة، والكرم، والفراسة، والإيثار، والهدوء، وغير ذلك.

وهذه كلها من مكارم الأخلاق إذ يقول عَلَيْكُ: "إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق"، وقد مدح الله عز وجل نبيه الكريم بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم، الآية: 4]، وبعد.

لقد طُلب مني أن أكتب عن مواقف لا تُنسى في حياتي مع أبي عمر، الرجل الإنسان، وإنني لصادقة لو قلت إنني أشعر بالتقصير في وصف إنسانيته، وإن أردت أن أوفيه حقه فأحتاج كتاباً مفصلاً عما رأيته من إنسانيته العظيمة، وأخلاقه الإسلامية الراقية خلال أربعين سنة عشتها زوجة له، وقد يقول قائل: كل زوجة قد تتحدث عن زوجها بهذه الطريقة، فأقول: إنني أظن أنَّ الرجال الذين يتمتعون بصفاته المتكاملة قليلون، وأحسبه كذلك وحسبي وحسبه الله تعالى ولا أزكي على الله أحداً، على الرغم من عدم انعدام الأخطاء فيه فهو من البشر، وقد قال على النه والله أعلم.

¹⁹ عقد الدكتور موسى أبو مرزوق قرانه على السيدة الفاضلة نادية العشي سنة 1979، وقد رزقه الله تعلى بستة من الذرية، وهم: عمر، وطارق، وأنس، ومحمد، وبلال، وربا، وحرصا على تربيتهم تربية صالحة.

منذ اللحظة الأولى بعد زواجنا اكتشفتُ فيه هذه الصفات الحميدة، فمثلاً أتحدث عن كرمه—وهي صفة من أجمل صفات الرجال—في فترة الخطوبة كان كرمه عجيباً، وظننتُ حينذاك أنها بسبب الخطوبة، لكني خلال الزواج لأربعين سنة اكتشفتُ كرمه العظيم الذي جُبل عليه، ليس فقط معي ومع ذريته وأهله، بل مع جميع الناس، وقد كان يُؤكد كلامي دوماً كثير من الأهل والأصدقاء والجيران والعاملين معه في الدعوة.

وهنا لا بدّ من ذكر موقف يشهد على ذلك، لم ولن أنساه يوم، أن كنا نشتري فستاناً لحفلة الخطوبة، وكان من عادتنا في غزة أن يتحمل أهل العروس تكلفة الفستان، وكل ما يتعلق بحفلة الخطوبة، أما العرس فنفقته على أهل العريس.

وعندما اخترتُ الفستان فإذا بأبي عمر يُصمم على أن يدفع الثمن، وقال: "عيب كيف أنت تدفعي وأنا واقف"، قالت أختي: "عاداتنا هكذا"، فضحك وقال: "بلا عادات بلا كلام فارغ"، فاستغربت أمي وقالت: "يا ريت عندي عشر بنات أزوجهم لشباب الإخوان".

ومما يتمتع به أبو عمر، خُلق الهدوء والاتزان والتروي في الحكم، وحسن الظن، فلم أعهد عليه أنه استعجل بحكم، بل أعتقد أنه يحسن الظن بزيادة، وهو الذي فهم وربى نفسه على أخلاق دعا لها الرسول على "التمس لأخيك عذراً فإن لم تجد فتواجد إلى سبعين عذر". فهو فعلاً نادر الغضب، يتعامل مع أشد المواقف بهدوء، وكان ما أسهل أن يتنازل عن حقه الشخصي، ويغضب لحق من حقوق الله تعالى، عزيز النفس لا يحب أن يطلب أي شيء ولو كوب ماء، يخدم نفسه بنفسه بل ويخدم غيره.

هو من علمني تدبير البيت والطهي والكي، وصبر عليّ، ثم بدأ مشوار العزائم وإكرام الضيف، فما أن يدخل ضيف إلى البيت إلا وتبدأ الطلبات حتى لو قمنا بكل الواجبات.

كان من أسعد اللحظات إلى قلبه وهو مبتسم حين يضع طفلاً في حضنه وقت الطعام ويطعمه بأصابعه، على غير ما كنت أحب، فقد كنتُ أطعمهم قبل أن أبدأ حتى ولو كانوا أبناء الضيوف. كان يُسعدهم ويسعد معهم، وقد عُرف عنه لعبتان،

الأولى ركوبهم على ظهره ومشيه بهم كالحصان، والثانية لعبة "الاختباء" وهي أن يختبئ هو ويبحثوا عنه أو يبحث عنهم هو. على الرغم من ضيق وقته وكثرة واجباته، وحال وجوده في البيت كان لا يتوانى في تقديم أي مساعدة للصغير والكبير، فمثلاً قد يكون على الغداء وبيده كتاب فيزياء أو غيره يراجع لابنه لامتحان الغد.

ومن طرائف أبو مرزوق مع أولاده، أنه لا يقبل التوقيع على ورقة الاختبار إلا إذا كانت في معدل الممتاز، وإن كان المعدل أقل من ذلك يقول: "أعطها لأمك أنا لا أوقعها".

لا أنسى معاناته—ولكن متعته—عند إيقاظ الأطفال لصلاة الفجر، حيث كان يمكن أن يعيد كلمة "بابا" مرات كثيرة دون أن يصرخ بالولد، على غير ما كنت أنا عليه فقد كان يعلو صوتى وأضع الماء على وجوههم.

لا أنسى مواقفه في مساعدتي لإكمال دراستي، فقد التحقتُ بجامعة محمد بن سعود في الرياض فرع واشنطن للدراسات الإسلامية، كنتُ أستيقظ أحياناً على رائحة الطبخ لأجده قد أعد طعام الغداء لذلك اليوم مبكراً، ولم ينم بعد الفجر أو بعد القيام حتى أستطيع أن أذهب للدراسة وأعود دون أن أفكر بموضوع الطعام أو البيت كثيراً، وأتفرغ بعد عودتي للأطفال ودراستهم وواجباتهم وأنشطتهم داخل البيت أو خارجه فهي مسؤوليتي.

كان حفظه الله يفهم قول الله عز وجل: ﴿ مُحَمَّدُ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَ أَشِدَّاءُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَنَ اللهِ وَرَضُونًا اللهِ عَلَى اللهِ وَرَضُونًا اللهِ عَلَى اللهِ وَرَضُونًا اللهِ عَلَى اللهِ وَرَضُونًا اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى الله

فالرحمة عطاء من الله يهبها سبحانه للخاصة من عباده نتيجة ما أسلفوا من الصلاح، فمعاملاته مع إخوانه فحدّث ولا حرج، إذ كان وما زال مثلاً في تعامله السياسي أو القيادي، يقول: "لا بدّ أن نُعامل الناس بالحسنى ونتجاوز عن أخطائهم، وألا نقابل الخطأ بالخطأ، ولا نُعين الشيطان على إخوتنا، فنحن نمثل حركة مجاهدة ينظر إليها الناس بأمل في تحقيق الخير، وقبل ذلك نسعى لنيل رضى

الله عز وجل، والفوز بالجنة"، ويُردد دائماً قول الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفُو وَأَمْرُ بِالْعُرُفِ وَأَعْرِضَ عَنِ ٱلْجُنِهِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 199]، وقوله تعالى: ﴿ وَالْخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱلنَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الشعراء، الآية: 215].

هكذا تربى في صفوف الحركة، وهكذا ربى أجيالاً كثيرة، ومن صفاته العظيمة "الحزم"، فمثلاً مع أولاده، بالرغم من حنانه ورحمته بهم كان حازماً معهم، فقد كان الحزم مع أولاده الخمسة ضرورياً، وهذا ما حصل مع ابنه بلال الذي أهمل دارسته في أحد الفصول الدراسية، فوعده إن حصل آخر العام على مجموع محدد أن يمنحه رحلة إلى أمريكا يزور أشقاءه هناك، وكان في الصف التاسع، وفعلاً أبدع بلال في الدارسة وقدم جهداً مميزاً، لكن للأسف قلَّ مجموعه درجتين عن المجموع المتفق عليه، فلم يُوافق أبو عمر على الرحلة، إلا أنَّ اجتهاد بلال لم يذهب هباءً منثوراً، فقد نفعه في السنوات التالية، وبهذا أراد أبو عمر أن يثبت موقفه في التربية والعهد والصدق مع النفس والآخرين.

أما مصروف الأولاد اليومي فقد كان كمتوسط أقرانهم على الرغم من استطاعته أكثر، ولم أكن أنا أدعم من الخلف كمعظم الأمهات وهذا ما كان يطمئن إليه.

ومن قصص الحزم عنده أننا خرجنا مجموعة من الفلسطينيين بمعية إخواننا الكويتيين إلى أحد المخيمات في أمريكا في طائرة حملت ثلاثين شخصاً منا، وفي الطريق أصابها اضطرابات شديدة، فسقط الكثير منا على أرض الطائرة وهي في الجو، وانتشر الرعب والخوف والهلع، ولم يكن أبو عمر معنا إذ كان سيزور مخيمات كثيرة ثم يأتينا في النهاية، وفي العودة أراد الشباب أن يغيروا الطائرة التي استأجروها فرفض أبو عمر وقال: "كانت الاضطرابات بسبب الجو، والآن الجو صاف، ونحن قد دفعنا أجرة الطائرة ذهاباً وإياباً"، وقال: "لن يُصبنا إلا ما كتب الله لنا، ولا يحق لكم الخوف لهذه الدرجة"، وما كان من الجميع إلا السمع والطاعة والتوكل على الله، وركبنا الطائرة نفسها، وعدنا بسلام بحمد الله.

لم تقتصر رحمة أبو مرزوق على إخوانه، بل وصل الأمر به أن يرحم الحيوان، فقد كان له مزرعة في دمشق، وأهديت له يوماً فرسٌ جميلة سماها "لطيفة"، وكانت متعلقة به تنتظره حتى يصل المزرعة، وما أن تسمع صوت سيارته حتى تبدأ بدق أرجلها في الأرض كأنها ترقص حتى ينزل من سيارته ويمسح على رأسها ويطعمها، وإذا نادى عليها باسمها من بعيد تأتيه فوراً، وقد حزن عليها حزناً شديداً عندما ماتت.

من هوايات أبو مرزوق حبه الشديد للزراعة، إذ كان دائماً يقول: "هناك رابط بين الزراعة والتربية والدعوة"، ويقول: "تزرع وعلى قدر الاهتمام والعناية يكون الحصاد"، وبالرغم من ضيق الوقت كان أينما حلّ يبحث عن كيفية غرس أي شيء.

كان وقت وصوله عمّان بعد خروجه من سجن أمريكا قد اشترى بيتاً واهتم جداً بالزراعة حوله، وعندما أبعد من الأردن كان العنقود الواحد من شجرة العنب يزيد عن اثنين ونصف كيلو جرام، وحدّث ولا حرج عن المشمش الذي زرعه والده له، وعن سبع وثلاثين شجرة مثمرة أخرى من الفواكه.

وعندما أبعدنا إلى سورية عشنا في شقة صغيرة وكنت، كلما أتيته أجد غرساً من النعناع أو الريحان أو البصل أو أي عرق أخضر في كأس.

ما يتميز به أبو مرزوق، قلة ساعات نومه، والقدرة على مواصلة عمله، والسهر والقراءة ثم القيام الذي عود نفسه عليه يومياً. لقد اعتاد على أن يكتفي بأربع ساعات من النوم في اليوم والليلة، وهذه نعمة من الله، فوقته كله مليء بالعمل والنشاط. ما إن يفتح عينيه إلا يقف فوراً، ولا يحتاج كغيره لوقت للراحة بعد النوم حتى يترك السرير، فالذي كان يُسعده هو عمله وإنجازه، فهو يحب البيت والمكتب والعمل، وإن خرج لنزهة أو غداء فهو يخرج من أجلنا وبعد ضغط منا، نزهته مكتبه وعمله، وراحته بين أوراقه واتصالاته واهتماماته بالشعب والقضية والدعوة.

صمته وتفكيره أكثر بكثير من حديثه، كلماته معدودة، وإن أردت أن أفهم منه تحليلاً سياسياً أو خبراً أو تعليقاً أنتظر مقابلة له على التلفزيون لأفهم ما يدور حوله من آراء وتحليلات وتوقعات، أو اتصالاً مع أحد الأخوة مجيباً عن استفسار أو سؤال.

حادثة اعتقال أبو مرزوق في نيويورك تترك أثراً لا يُمكن أن ينساب بشكل عابر:

لا بدّ عند الحديث عن مشوار حياتي مع د. موسى أبو مرزوق من الإشارة لقصة سجنه في أمريكا.

مع اقتراب حلّ قضية اعتقال أبو عمر بنيويورك تمّ الاتفاق بأن يتنازل أبو عمر عن الإقامة الدائمة مقابل ترحيله لبلد يقبله، وتبقى المعاهدة سرية حتى تنفيذها، وإن أحد من الطرفين أخلّ بهذا الشرط تعد المعاهدة لاغية، وحُدد يوم توقيع الاتفاقية التي يجب أن لا نتكلم عنها أبداً للإعلام وغيره.

ذهبتُ مع أحد أبنائي لنيويورك لحضور الجلسة مع المحامين فأخبرنا المحامي عن إمكانية تأجيل الجلسة؛ لعدم وجود قاعة فارغة في المحكمة، وهذه جلسة طارئة ولا يسمحون بنقله لمحكمة أخرى، لا سيّما وأنها تتميز بنفق أرضي بين السجن والمحكمة. عموماً اقترح المحامي عليهم أن يعقدوا الجلسة في غرفة زيارات السجن التي كنا نزوره فيها، فوافقوا على ذلك مع تأخر ساعة حتى وصل وفد الحكومة.

بدأ التجهيز ووصل عدد من المخابرات بقسميها التابع لدائرة الهجرة ومكتب التحقيقات الفيدرالي (أف بي آي) (Federal Bureau of Investigation (FBI) وعدد من موظفي وزارة الخارجية، ومثله من وزارة العدل، والقاضي والمحاميان ستانلي كوهين Stanley Cohen وأشرف نوباني، ووصلتُ مع ابني، وكان من المفترض أن يكون المحامي شريف بسيوني، لكن سبباً ما منعه من الوصول، وقد كان شريف بسيوني الخبير الذي أسس محمكة الجنايات في البوسنة التابعة للأمم المتحدة، فهو خبير قانون دولي. ومن المعروف في دستور أمريكا أنَّ العلم الأمريكي

لا بدّ أن يكون مرفوعاً وحاضراً في قاعة المحكمة؛ لأنه رمز العدالة في نظرهم، فتح الباب، ودخل أبو عمر وسلّم علينا فإذا بالعلم يسقط على الأرض، ولما سأل أبو عمر عن الربكة والضجة، فمزحتُ معه وقلت: "إنَّ صوته وسلامه أسقط العلم"، فضحك وضحكنا. استغرقوا نصف ساعة تقريباً لإيقاف العلم وتصليح نسره فلم يستطيعوا، فوضعوه جانباً، وتم التوقيع على الاتفاق دون حضور العلم، وأخذوا أبو عمر من الباب نفسه.

بعد خروج أبو عمر أوقفوا العلم فإذا به يقف فاندهش الجميع، ونظر القاضي لي وقال بالإنجليزي: "لا أعرف، لا أفهم، ما الذي حصل؟" فأجبته بالإنجليزي والجميع صامت مندهش أنَّ العلم عندكم رمز العدالة، أليس كذلك؟ وفي هذه القضية لا يوجد عدالة، فأبى العلم أن يرتفع وأبو مرزوق في القاعة، وأكمل المحامي أشرف الحديث معهم عن بعض العبادات؛ ليفهمهم ظلمهم وعدم عدالتهم. هكذا عقدت أول جلسة في تاريخ أمريكا بدون رفع العلم لتبقى مسجلة في تاريخهم.

حادثة محاولة اغتيال الأستاذ خالد مشعل:

إنَّ من المواقف التي لا بدّ من ذكرها في هذا المقام، محاولة اغتيال الأستاذ خالد مشعل، رجع أبو عمر للبيت وكل هموم الدنيا في عينيه، كان شارد الذهن، مشغول الفكر، توضأ وصلى ركعتين أطال فيهما السجود، شعرتُ أنه يبكي ويدعو الله تعالى، ولما سألته عن أبي الوليد، قال: الوضع صعب، قبل قليل كنتُ مع جميع الأخوة في المستشفى، جاء أمر من الملك حسين بنقله لمدينة الحسين الطبية، إلا أنَّ جميع الأخوة رفضوا الطلب خوفاً على سلامته وتعرضه لإيذاء أحد، ولكنني شعرتُ أنَّ الموضوع كبير ولا نستطيع كحركة علاج أخينا، وإنَّ رفضنا نقله يعني أننا لن نستطيع نقله لبلد آخر عند الحاجة، أما إن تولى الملك الأمر بنفسه، والأردن كدولة فسيقومون فعلاً بإرساله إلى الخارج وعلاجه، وليس من الحكمة رفض أمر الملك حسين، بل يجب نقله فوراً، لكن حتى اللحظة قرار الإخوان عدم نقله من المستشفى الإسلامي، ولم أستطع إقناع إخواني، والآن سأذهب لفعل ذلك، من المستشفى الإسلامي، ولم أستطع إقناع إخواني، والآن سأذهب لفعل ذلك،

وفعلاً نُقل إلى المستشفى، وبعدها كان طلب الملك حسين من العدو الإسرائيلي إرسال مضاد للسم الذي حُقن به أبو الوليد، واضعاً حياة الأخ أبي الوليد مقابل استمرار اتفاقيات السلام، حينها شعرتُ أنَّ الله تعالى استجاب لأبي عمر دعاءه عندما كان يصلي، وكان لجوؤه إلى الله في أصعب الظروف هو أفضل وسيلة. 20

(انتهى كلام العشي)

2. شهادة ياسر بشناق: الهدوء مع الغضب:

ومن المواقف الإنسانية التي رُويت في حقّ أبو مرزوق ما جاء على لسان د. ياسر بشناق؛ الرئيس الأسبق لمؤسسة التضامن العالمية بواشنطن وعضو لجنة الدفاع عن أبو مرزوق، ورفيق دربه في أمريكا، فقد قال:

إنَّ د. موسى أبو مرزوق يتميز بالكثير من الخصال الطيبة والملفتة للنظر، حيث إنه كان لا يُبدي غضباً يخرجه عن الوقار أو يستفزه بعيداً عن إنسانيته التي طبعت تعاملاته مع الناس، فقد كنا أحياناً في اجتماعاتنا نتحاور وتعلو أصواتنا ونحن نناقش قضايانا وهمَّنا الوطني. وبينما نحن كذلك، يأتيه هاتف من زوجته وأولاده، فنراه وهو يرد عليهم بكل هدوء، ويلاطفهم القول بما لا يبدو عليه أنه في حالة انشغال أو انفعال، وكان يُنهي مكالمته معهم بكلمات باسمة فيها الكثير من الود والرضى. وعندما كان يرى الاستغراب على وجوهنا يبتسم، وكأن لسان حاله يقول: يكفيهم ما هم فيه من غربة، وما تسببه لهم معاناة الغياب عن الأهل والوطن، فنحن شواطئ الرحمة لهم.

ومن جانب آخر، فقد لفت نظري بينما كنتُ أتابع قضية أبو مرزوق في سجن نيويورك، أنه كان دائماً خلال فترة اعتقاله، والتي قاربت السنتين معزولاً بغرفة في سجن نيويورك المعروف بإجراءاته الأمنية القاسية، متماسكاً وصابراً محتسباً وصامداً واثقاً بالله، وخصوصاً خلال زيارات زوجته وأولاده الأسبوعية، حيث

مراسلة للكاتب مع زوجة الدكتور موسى أبو مرزوق السيدة نادية العشي، تشرين الأول 20 أكتوبر 20 مراسلة للكاتب مع زوجة الدكتور موسى أبو مرزوق السيدة نادية العشي، تشرين الأول 1

كانوا حينها صبية صغاراً، كان يبدو أمامهم باسماً ومتفائلاً، وكان يشكل، بالرغم من سجنه، رافعة لمعنويات ومشاعر أهله وزائريه.

وأيضاً كانت زوجته طوال فترة اعتقاله؛ صامدة ومتماسكة وباعثة للأمل ومحفزة لأصدقائه ومعارفه للدفاع عنه، ولم تترك نشاطاً أو تجمعاً إلا وخاطبته بقوة ورصانة وثبات.

كان أبو مرزوق، كريماً وسخياً ومغيثاً للملهوف ومعيناً لذوي الحاجة لمن حوله من الجيران والزملاء والأصدقاء، لكنه كان متمهلاً ودقيقاً في صرفه من الأموال العامة.

كان بعيداً عن الكبر والتكبّر على من هم حوله، ودوداً، وواصلاً لكل من صادقه وزامله من الطلاب أو العاملين معه، وكان بالغ العطف والحنان على أهله وصغاره وصغار جيرانه وأصدقائه، حيث كان يداعبهم ويلاطفهم ويهاديهم بما يجلب السرور عليهم.

كان شجاعاً مقداماً لا يتردد في اتخاذ القرارات الصعبة والقيام بالمهام الجريئة والقفز على الفرص حين تلوح بالأفق، وكان يقبل التحديات ولا يتردد في خوض غمارها والصرف عليها.

كان مداوماً على صلاة القيام، وحريصاً على ورده اليومي.

كان يسهر على خدمة الصالح العام والمجتمع المحلي وقضايا العرب والمسلمين عموماً والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص، كانت خدمته لتلك القضايا والهموم تتقدم دائماً عنده على خدمة بيته وأهله وأولاده وشؤونه الشخصية، وحتى على دراسته وشهاداته.

كان لا يتعب ولا يمل من كثرة الأسفار والاجتماعات، قليل النوم والراحة، وكان أحياناً يكتفي ببضع دقائق من النوم (دون استلقاء)، أو يأخذ "تعسيلة" لساعة أو نحو ذلك، ليعاود بعدها أنشطته ولقاءاته.

كان يُمارس العمل الجماعي، ويُشجع على بناء وحدات جديدة للعمل، ويحرص على إنشاء مجاميع ومؤسسات عمل متخصصة، ويحرص على التشاور، ويشجع

على الإنجاز، ويسعى إلى توفير كل الوسائل المادية والمعنوية لتحقيق ذلك، وكان يُشجع على خوض غمار التحديات، ويُبادر ولا ينتظر أحداً.

وعلى عكس ما درجت عليه العادات الفلسطينية في حينه، فقد طار فرحاً بمولد ابنته الوحيدة وأقام لها ولائم العقيقة لكل معارفه، وكان دائماً يخصها بشراء الهدايا الرمزية لها ولإخوتها.

ومن المعروف عن أبو مرزوق أنه قليل الكلام والنقاش، وأحياناً كانت تعوزه لغة تنميق الكلمات والإثارة، ولكنه كان سريع البديهة، وثاقب الرأي، وعميق التفكير، وبعيد الرؤى، وشامل التخطيط، لا يتردد في اتخاذ القرارات الجامعة، والعمل نحو تنفيذها وإنجاحها.²¹

(انتهى كلام بشناق)

3. شهادة أحمد يوسف:

يقول د. أحمد يوسف:

حادثة غرق أحمد:

ذات يوم من سنة 1990، ذهبتُ وبعض الأصدقاء من واشنطن مع عوائلنا إلى ولاية لويزيانا لزيارة أخينا موسى، حيث لم يكن أنهى دراسة الدكتوراه بعد، قام الرجل وعائلته مشكورين باصطحابنا إلى أحد المتنزهات العامة بالولاية.

تركنا الأولاد يلعبون داخل المنتزه، وانخرطنا نحن في جلستنا نتجاذب أطراف الحديث في شؤوننا الفلسطينية، وعملنا الإسلامي على الساحة الأمريكية، فيما انشغلت النساء في إعداد طعام الغداء.

وفجأة جاء محمد؛ أحد أبناء الأخ موسى أبو مرزوق؛ يبكي ويصرخ: أحمد غرق، أحمد غرق، هرعنا مسرعين إلى مكان الماء، فوجدنا أحمد يحاول جاهداً الخروج من الماء ولكن دون جدوى، قفز الأخ موسى إلى بركة الماء المثقلة بالطمي

²¹ مراسلة للكاتب مع الدكتور ياسر بشناق، عمّان، الأردن، تشرين الثاني/ نوفمبر 2018. أجرى الكاتب هذه المراسلة عن طريق الدكتور أحمد يوسف.

محاولاً إنقاذ أحمد، ولكن بعد أن دفعه إلى حافة البركة وانتشلناه، وجدنا أنَّ الأخ موسى هو الآخر على وشك الغرق، انتابنا الهلع جميعاً، حيث احتشدنا على طرف البركة لا ندري ماذا نفعل!! وفي لحظة وجدتني أطلب حبلاً أو حتى غطاء رأس أحد الأخوات، حيث مددناه إليه، وسحبناه من وسط الطمي بعد أن امتلأت معدته بالماء المشبع بالطمي.

يوماً لن أنساه، فلولا تضحيته بإلقاء نفسه في البركة ودفع أحمد إلى أطرافها لغرق ابني في ذلك اليوم، إنَّ ما فاجأنا بعد الحادث، هو اكتشافنا أنَّ الأخ موسى لم يكن يجيد السباحة، ومع ذلك ألقى بنفسه داخل بركة الطمي لإنقاذ طفلنا العزيز، ولولا لطف الله لغرق الاثنان معاً، ولكن "لِكُلِّ أَجَل كِتَابٌ".

حدث الإبعاد إلى مرج الزهور:

لن أنسى تلك الليلة من شهر كانون الأول/ ديسمبر سنة 1992، والتي أيقظنا فيها د. موسى أبو مرزوق في الثالثة فجراً ليطلبنا لاجتماع عاجل في بيته بمدينة فول تشيرش Fall Church في ولاية فرجينيا الأمريكية، حيث بلغه للتو خبر قيام الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بإبعاد قيادات حركة حماس إلى منطقة مرج الزهور في الجنوب اللبناني. لم ينم ليلته، واستدعانا نحن إخوانه في قيادة العمل الفلسطيني لتدارس ما يمكن عمله؛ للتخفيف من معاناة هؤلاء الإخوة المبعدين وأسرهم المكلومة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

في تلك الليلة، انسابت دموع د. موسى أبو مرزوق، وكان هو المسؤول الأول في ذلك الوقت، بشكل لم يسبق لي مشاهدته من قبل على تلك الحالة، وخيّم علينا الصمت، ولفّنا جميعاً حزن عميق، ولكننا عاهدنا الله على أن نبذل كل ما نملك من إمكانيات من أجل هؤلاء الإخوة، وأن نعمل على تسخير كل ما لدى جاليتنا العربية والإسلامية من طاقات، لجعل قضيتهم تنال من الاهتمام والمتابعة، عربياً وإسلامياً، ما تستحق، وحشد مواقف التضامن في أمريكا وأوروبا لأجل عودتهم إلى أرضهم وديارهم بالسرعة المكنة، وفاءً لهؤلاء المجاهدين الأبطال والدعاة الأبرار.

لم تمضِ إلا بضعة أيام على وصولهم لأرض مرج الزهور، حتى جاء أحد الإخوة من أمريكا لزيارتهم، والتعرّف على كل طلباتهم، وتوفير الاحتياجات العاجلة لهم ولعوائلهم.

شقاوة الأطفال وجمالهم:

في نهاية الثمانينيات، كنا نقيم في مدينة شيكاغو بولاية إلينوي الأمريكية، وذات يوم أحضر د. أبو مرزوق أولاده عمر وطارق، وتركهم في بيتنا؛ لدواعي سفر سيأخذه وزوجته لبعض الوقت خارج البلاد. كنا متقاربين كثيراً كعائلة، مكث الأولاد معنا في البيت أكثر من أسبوع، وعندما عاد، سألنا: كيف كان عليه حال الأولاد في غيابه؟ قلت له: الحمد لله جاءت الشرطة أكثر من مرة، بسبب شكوى الجيران من حالة الإزعاج وأصوات الدربكة التي كانت تصدر عن الأطفال، حيث كان لاجتماع هذا العدد من أطفالي وأطفاله تحويل البيت إلى حلبة مصارعة، تصدعت معها الجدران والأرضيّة الخشبية، وأبلغنا صاحب العمارة بضرورة إخلاء الشقة، والرحيل عن العمارة.

كنا في ورطة حقيقية؛ لأن إيجاد مكان آخر للسكن قريب من العمل لن يكون سهلاً، كما أن كلفة عملية النقل والمتطلبات المالية لعقد الإيجار الجديد هي، آنذاك، فوق طاقتي. تأثر أخي موسى كثيراً لما وقع بسبب شقاوة الأطفال، واعتذر لي ولزوجتي، وقال لي: لا عليك يا أخ أحمد، سنتدبر لك مكاناً أفضل للإقامة فيه، وترك مبلغاً من المال لإصلاح الأضرار وزيادة، وتكفل بكل الأتعاب الأخرى المتعلقة بعملية الانتقال للمكان الجديد. 22

(انتهی کلام یوسف)

4. شهادة مصطفى اللداوي:

وفي السياق نفسه يروي د. مصطفى اللداوي العديد من المواقف الإنسانية والجوانب الشخصية في حياة موسى أبو مرزوق، فيقول:

^{.2018} مراسلة للكاتب، غزة، مع الدكتور أحمد يوسف، غزة، آب/ أغسطس 2018.



على الرغم من أنه ترك الكثير من القصص والحكايات، وأسهم في العديد من المشاريع والمؤسسات، وكان له حضورٌ لافتٌ في كل المراحل والمناسبات، وترك بصماتٍ كبرى ما تزال آثارها في مختلف المحطات والأزمات، وقد كان لفترة طويلة من حياته ملء سمع الدنيا وبصرها، إذ واكب البدايات الصعبة، وأسهم في الانطلاقة المبكرة، وقاد الحركة في أصعب الظروف وأسوأ المراحل، وتحدى الصعب وركب الخطر، ونزل إلى الأرض المحتلة في وقت كانت الأرض تشتعل ناراً بالحركة، وتكاد تميد برجالها، وتعصف بأبنائها الذين ملأوا السجون والمعتقلات، لكنه كان أبو مرزوق الرجل الصعب العنيد، الذي قرر أن يُعيد بيديه نسج الخيوط وبناء هياكل الحركة التنظيمية والإدارية من جديد، وقد كان له بصمت وحنكة ما أراد، وحقق في أيام ما عجز العدو عن اكتشافه إلا بعد سنة ونصف من نجاحه في مهمته.

إلا أنَّ الحديث عن د. موسى أبو مرزوق أو الكتابة عنه ليس بالأمر السهل، بل هو أمرٌ غاية في الصعوبة، ويتطلب من الكاتب جرأة في اقتحام حياته، وتسلق أسوار منجزاته، وقدرة كبيرة على ملاحقته من مكانٍ لآخر، ومن مهمةٍ لأخرى، وملازمة له في سفره وترحاله، وقرباً خاصاً وحظوة مميزة تمكنه من الاطلاع على الكثير مما كان يخفيه عن الناس ويبقيه بينه وبين الله سراً به يتعبد وإليه سبحانه وتعالى يتقرب.

ولكنني استطعت ولسنوات طويلة عملت فيها جنباً إلى جنب معه، أن أحيط ببعض جوانب حياته وسيرته الشخصية، بالقدر الذي تسمح به الخصوصية ويحققه الظرف والقرب منه، إلا أن الكثير مما أعرف وأعلم، يتعلق بجوانب العمل ومسار التنظيم، خصوصاً أنني عملت معه في مراحل مختلفة وساحات عدة، وكنت لفترة طويلة مديراً لمكتبه ومسيراً للكثير من أعماله، الأمر الذي مكنني من التعرف على الكثير من مهماته الصعبة. إلا أنَّ د. بلال ياسين مهتمٌ في كتابه عن د. موسى أبو مرزوق بالجوانب الإنسانية من حياته، والصفحات الوجدانية المتعلقة بشخصه وتكوينه، بعيداً عن أسرار العمل ومهمات التنظيم وملفات الحركة، التي هي أكبر بكثير من أن تجمعها دفتا كتاب، أو يحيط بها كاتبٌ أو مدونٌ. وعليه سأحاول في هذه الشهادة أن أذكر بعض القصص والحكايات التي

أعرفها عن شخصه الكريم وحياته الخاصة المصونة، التي ربما يشاركني فيها البعض، ويعرفها آخرون مثلي وربما أكثر، ولكنها مساهمة مني في كتابه وفاءً وحباً له.

كثيرون هم أولئك الذين يُكنون في حركة حماس بأبي عمر، فهي كنية مشهورة ومحبوبة، ويكاد اسم عمر يبز اسم محمد، لحب المسلمين في عمر بن الخطاب وَيُوالِّفُكُ ، الذي كان يحبه رسول الله وَيُلِّلُ ، الذي قال عنه "لو كان نبي بعدي لكان عمر"، فأحبه المسلمون كثيراً، وتكنوا باسمه تيمناً به وحباً له، ولعل موسى كان من بين من أحبوه فسمى ولده البكر باسمه تيمناً به وحباً له.

إلا أنَّ أبو مرزوق تميز بين حملة كُنى أبي عمر جميعاً، فلا يحتاج المتحدث عنه أنْ يقرن كنيته بموسى ليعرفه أو يميزه، بل كان أبو عمر بكنيته علماً، وباسمه معروفاً، فلا ينافسه أبو عمر آخر، ولا يختلط شخصه بأي عمر غيره، فإذا ذُكر أبو عمر في حديث بين أبناء الحركة فإنَّ العيون إلى أبو مرزوق تتطلع، والعقول إلى أبى مرزوق تتجه، وكأنه لا أبا عمر بين أبناء الحركة وعامة الناس غيره.

ولم يكن تميزه بأبي عمر فقط بين عامة أبناء الحركة، بل إن مؤسسات الدولة السورية الأمنية والسياسية، والحزبية والتنظيمية، كانت تعرف رجلاً واحداً في حركة حماس يُسمى بأبي عمر، معه تتعامل وبه تثق، وإليه ترنو وتتطلع لأن تلتقى ومعه تجتمع.

طفلتى تُقلق نومه وتمنعه من الراحة:

دخل أبو مرزوق غرفة الضيافة في بيتي الكائن في آخر شارع اليرموك، بداية الحجر الأسود جنوب مدينة دمشق، الغرفة بسيطة متواضعة عربية الفراش، فيها وسائد وفرشات اسنفجية، وأرضها مفروشة بحصير بلاستيكي، وكان لها باب جانبي يسهل عبره الدخول إليها والخروج منها دون الحاجة إلى المرور بصحن البيت.

كان متعباً مرهقاً لطول السفر، فقد كان قادماً من الولايات المتحدة الأمريكية، فأراد الاستراحة كعادته قليلاً، فتركته في الغرفة ودخلت إلى بيتى، حيث طفلتى

الصغيرة "إسلام"، التي وصلت وزوجتي قبل أشهر قليلة من غزة وعمرها لا يتجاوز السنة ونصف، فكانت تبكي وتصرخ، فحرصت أن تهدأ ليتمكن أبو عمر من النوم، وأخذ قسط من الراحة، ولكن بكاءها استمر وصراخها ارتفع.

سمعتُ طرقاً على باب غرفة الضيافة، فإذا بأبي عمر يطلب الطفلة إسلام، فقلت له دعك منها إنها تبكى، فقال لي لأنها تبكى أريدها.

أدخلتُ طفلتي إلى الغرفة عنده، وكنت أعتقد أنها ستذهب النوم من عيونه، وستجبره على الجلوس معها لتهدئتها وهدهدتها، ولكني فوجئت بأنَّ صوتها قد خفت، وبكاءها قد توقف، ولم تعد تصرخ، دخلت عنده فوجدته إلى جانبها يلعب معها ويتحدث إليها، وهي تجلس أمامه على الحصير، وما هي إلا دقائق حتى غطت ابنتي في نوم عميق، وهدأ المكان، فاستغرق أبو عمر مثلها في نومه.

ومضت الأيام وتكررت الزيارات، وفي كل مرة كان يأتي د. موسى إلى بيتي ضيفاً أو زائراً، كان يسألني أين الطفلة التي كانت تبكي، فكان يحرص على أن تأتى عنده، وكانت إليه تسكن ومعه تهدأ وكأنها تعرفه منذ سنوات.

كبرت ابنتي إسلام وتزوجت وأنجبت، وتوفي زوجها، وما زلنا نذكر دائماً أنها الطفلة التي كانت تقلق أبا عمر موسى ببكائها، ولكنها كانت معه تهدأ وإليه تسكن، وكأنها كانت تعرف حنوه على البنات، وحبه لهن، فقد رأيت بعد ذلك تعلقه الشديد بابنته الوحيدة رُبا، وحبه لها وحرصه عليها، وكنت أسمع منه أن البيت الذي يخلو من البنات تغيب عنه الرحمة ويفتقد الرأفة، فالبنات وجودهن رحمة، وحياتهن نعمة، وتربيتهن طاعة.

حكايته مع الأستاذ بسام جرار:

وصل أبو مرزوق إلى بيتي كعادته لأخذ قسط من الراحة، قادماً من مطار دمشق الدولي وفي طريقه إلى مخيم مرج الزهور، الذي أبعدت إليه سلطات الاحتلال الإسرائيلي 417 فلسطينياً، كان جلُهم من حركة حماس، من مختلف المناطق الفلسطينية في القدس والضفة الغربية وقطاع غزة، وكانوا قد وصلوا قبل أيام عبر بوابة زمريا إلى منطقة مرج الزهور في البقاع الأوسط اللبناني، وكانوا من قبل في المعتقلات الصحراوية والسجون المركزية الإسرائيلية.

كان الأخوة في قيادة المبعدين ينتظرون أبو مرزوق بفارغ الصبر، فهم قد خرجوا للتو من السجون والمعتقلات، وألقت بهم سلطات الاحتلال الإسرائيلي ذات صباح يوم بارد من شهر كانون الأول/ ديسمبر سنة 1992 إلى الأراضي اللبنانية، وكان المبعدون في حيرة من أمرهم ماذا يعملون وكيف يواجهون هذه المحنة الجديدة.

وصل أبو مرزوق إلى دمشق قادماً من أمريكا، وتركته يرتاح في غرفة الضيافة بمنزلي، واتفقت أن أعود إليه بعد ساعتين لننتقل سوية إلى لبنان لزيارة الأخوة المبعدين، وقبل أن أغادر الغرفة وأتركه لينام، وقعت عيناه على كراس مكتوب بخط اليد وكانت بعنوان "زوال إسرائيل حقيقية علمية أم نبوءة قرآنية"، وعليها اسم الأستاذ بسام جرار، وقد كانت الأوراق معدودة والكراس صغير، لكن الخط كان جميلاً والشكل العام للكراس كان أنيقاً.

إلا أنَّ أبو مرزوق قال لي مستنكراً وبدا غاضباً: "لماذا يكتب الشيخ بسام جرار في هذا الموضوع، أليس هو صديقك ويعرفك جيداً وقت دراستك في جامعة بيرزيت وإقامتك في مدينة رام الله، أرجوك أخبره أن يكف عن هذه المهاترات والخزعبلات، نحن عاجزون عن تجاوز مشاكلنا الواقعية والمادية، فكيف نخوض غمار الغيب والتنبؤات"، وتمنى علي أن أطلب من الأستاذ أبي عمرو بسام جرار أن يتوقف عن الكتابة والحديث في هذا الموضوع، نحن في غنىً عن إثارة هذه القضايا الغيبية التي هي محل جدلٍ وخلافٍ.

وعدته خيراً، بالرغم من أنني حاولتُ إقناعه بأن دراسة أبي عمر بسام جرار تستحق الدراسة، وهي ليست نبوءة خيالية بل هي دراسة قرآنية تستحق الاهتمام والعناية، علماً أن الاستماع للشيخ بسام أكثر جاذبية وأكثر إقناعاً من قراءتها ورقياً.

تهكم علي أبو عمر، ولم يعجبه كلامي، ولم يرق له وصفي لما حوى الكراس، لكنه كان متعباً ويرغب في النوم، فأنهى الحوار واستلقى، وغادرت بدوري الغرفة، على أن أعود له بعد ذلك، ولم أكن في حينها راضياً عن كلماته، ولم أرتح أبداً لاستخفافه وحكمه السطحى.

عدتُ إليه بعد أكثر من ساعتين، ودخلت الغرفة بهدوء شديد مخافة أن أزعجه فيستيقظ من نومه، ولكنني فوجئت أنه ما زال يقظاً ولم ينم بعد، استغربت حاله وسألته، لماذا لم تنم؟ وخلال ذلك لاحظت أن بين يديه كراس الأستاذ بسام جرار يطالعها ويقرأها.

نظر إلى مبتسماً وقال لي: "مقنعٌ جداً كلام الشيخ بسام، سألتقيه في المخيم وسأستمع إليه، وسأناقشه فيما قرأت وفهمت من بحثه".

ضحكت وشعرت بنشوة الانتصار وفرحة الفوز، فقد كنت مقتنعاً جداً بما كتبه الأستاذ بسام، ولكني ما كنت أقوى على مجالدة د. موسى وإقناعه، فتركته لنفسه وللأيام تفعل معه ما لم أقوَ على إقناعه به.

وصلنا إلى مرج الزهور، وكنت قد حصلت له على موافقة خاصة بالعبور بالسيارة إلى المخيم، وهناك التقى بالأستاذ بسام جرار، وطلب منه أن يعيد شرح ما جاء في الكراس، وكان الأستاذ بسام يعيد تكرار المحاضرة على الضيوف الذين يزورون المخيم، ومنهم شخصيات سياسية وعسكرية وأمنية لبنانية، بالإضافة إلى قيادات العمل الإسلامي وأبناء المخيم أنفسهم.

جلس أبو مرزوق في الخيمة على الأرض متلقياً كأي شخص قد حضر المحاضرة، وكنت أسترق النظر إليه من حين إلى آخر، حيث لم يكتف بالاستماع إلى المحاضر بل ناقشه بعد ذلك، وجادله فيما علم وحفظ من التواريخ والأحداث، وقد بدا عليه الاقتناع.

وبعد أن غادرنا المخيم طلب أبو مرزوق مني أن أغطي تكاليف طباعة الكراس كاملاً، وكان قد وعد الأستاذ بسام جرار أن يمول له تكاليف هذه الأبحاث، وأن يساعده في مواصلة الدراسة والبحث، وفعلاً بعد أن عاد الأستاذ بسام جرار من مخيم مرج الزهور إلى مدينة رام الله، أسس بدعم خاص ومباشر من أبو مرزوق مركز ميم للدراسات القرآنية، الذي اهتم بالنبوءة وواصل البحث فيها وتطويرها.

في الطريق إلى مرج الزهور:

عُرف عن د. موسى أبو مرزوق، رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، أنه رجلٌ ثريٌ وقادرٌ، ولديه تجارته الخاصة، وكانت عنده وظيفته المرموقة وراتبه المميز إبان عمله في دولة الإمارات العربية المتحدة.

إلا أنَّ صفته عالية المقام، وقدراته الذاتية الخاصة، قد دفعتني للتوقف طويلاً أمام ما رأيت منه في هذه الحادثة، وهي التي أعطتني فكرة حقيقية عن طبيعته الشخصية البسيطة، وتواضعه الجم، وتلقائيته الكبيرة.

وصلنا إلى الحدود السورية اللبنانية عبر الخط العسكري، وهو طريق خاص يمر خلاله العابرون دون الحاجة إلى ختم جوازاتهم والتدقيق في أوراقهم الثبوتية من قبل الأمن العام في الطرفين اللبناني والسوري، وقد تمكنت من الحصول على تصريح خاص بأبي مرزوق للمرور خلاله، حيث لم تكن علاقة حركة حماس قد تطورت إلى الحد الذي يسمح لنا بأن تكون لنا سياراتنا العسكرية الخاصة وبرقياتنا الأمنية المستقلة، فكان ينبغي علينا أن نحصل على بعض الامتيازات من خلال بعض القوى الأخرى، وفي المقدمة منها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة.

لم نتمكن يومها من استخدام سياراتنا الخاصة في الوصول إلى مرج الزهور انطلاقاً من الحدود السورية، كما لم يكن بالإمكان استخدام سيارات خاصة بالنظر إلى أننا لم نحصل على شيء من التسهيلات الخاصة والكبرى التي حصلنا عليها بعد ذلك، وتميزنا فيها عن غيرنا من القوى والفصائل الفلسطينية.

لم نجد إلا سيارة واحدة، وكانت مكتملة العدد، وليس فيها متسعٌ لأحد، ولكن د. موسى كان مصراً على أن يصل إلى مخيم مرج الزهور في الليلة ذاتها، وعلى الموعد المتفق عليه معهم، قال إنه لا مشكلة لديه في المكان، ومال جهة سائق السيارة، وقال له يمكنني الجلوس على يسارك، نظر إليه السائق باستغراب، وكان يعلم أنه رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، وسكت وهو يشعر بالحرج، ولكن د. موسى باغته بفتح باب السيارة وجلس إلى جانبه وانطلق معهم حتى

مرج الزهور، ونصفه كان داخل السيارة ونصفه الآخر خارجها يتأرجح كلما انعطفت السيارة، حتى وصلنا إلى المخيم وهو يتشبث حيناً بباب السيارة المفتوح، وحيناً آخر يقف على قدميه ويمسك بباب السيارة يسير معه في الاتجاه الذي يتحرك فيه.

ما رأيتُ أبو مرزوق منشرحاً سعيداً فرحاً كما رأيته في ذلك اليوم وخلال تلك الحادثة، التي فتحت الباب على مصراعيه ليروي لي ولمن معي قصصه الكثيرة في مدارس الأونروا بمخيم يبنا في رفح، وقصصه في سوق المدينة إلى جانب والده، وغيرها من الحكايات القديمة الجميلة له خلال سني دراسته الأولى في رفح.

تجهيز المقاتلين وتأهيل المقاومين:

شاركتُ د. موسى أبو مرزوق ذات يوم في ملتقى بالعاصمة الجزائرية، كما شاركته في الكثير من الرحلات والمؤتمرات، وكان من بين مرافقيه شابٌ من غزة، ويرغب في الزواج من ثانية، ولكن كانت تنقصه القدرة المالية، فطلب مني هذا الشاب أن أساعده في الحصول على قرضِ أو مساعدة لتمكينه من الزواج.

كانت تربطني علاقات جديدة بالعديد من الأخوة الجزائريين، فحدثت بعضهم فاستجاب أحدهم سعيداً بأن يسهم في زواج هذا الأخ، ولكني رأيت من باب الأدب واللياقة أن أخبر د. موسى بالأمر وبما عملت من أجله.

إلا أنَّ أبو مرزوق لم يرق له طلبي، ولم يوافق على منح الشاب المنحة المالية التي حصلنا له عليها، وقال يجب أن يعود هذا المبلغ إلى مالية الحركة، وهي التي تمنح الأخ الراغب في الزواج من ثانية بالقدر الذي تسمح به القوانين واللوائح. وأشار إلى أننا في حاجة إلى تجهيز المقاتلين في الداخل، وتزويج العازبين من المقاتلين هناك، فهم أولى وفي حاجة أكثر. وطلب مني أن أعيد المبلغ إلى الجهة التي تبرعت، أو توافق على أن يحال المبلغ إلى ميزانية الحركة المركزية، وهي التي تتصرف مع الأخ بموجب القوانين والنظم.

التزمتُ بتعليماته، وأعدت المبلغ إلى الجهة التي تبرعت به، إلا أن الأخوة الجزائريين سألوني عن السبب ولماذا أعدت المبلغ، فشرحت لهم رأي د. موسى والأولوية التي يراها في هذا الباب، حيث يرى أن الأولوية هي للمقاومة في الداخل، وليس للزواج من ثانية للمتأهلين أصلاً، وممن ليس عندهم مشاكل أو مبررات للزواج من ثانية.

استوقفني الأخوة وطلبوا مني الانتظار قليلاً، ثم جاء أحدهم وطلب مني أن أرتب لهم لقاءً مع أبو مرزوق، وقال لي إنهم سيكونون أكثر من أربعة أشخاص، فأجبتهم إلى طلبهم، وكلمتُ أبو عمر عن رغبتهم فرحب بهم وحددت لهم موعداً للقائه.

وفي اللقاء الذي تم على عجلٍ كون رحلة العودة قد اقتربت، شكر الأخوة الجزائريين أبو مرزوق على حرصه وشفافيته، وعلى موقفه وصراحته، وقام أحدهم وقدم له كلفة زواج مئة مقاوم فلسطيني، وكان الأخ الشهيد أحمد الجعبري حينها رئيساً للجهاز العسكري في قطاع غزة، فزف إليه د. موسى هذا الخبر فسعد به، وعلمت فيما بعد أنه حضر بنفسه حفل زفاف العديد من الشبان الذين موّلت الجزائر على يدي د. موسى زواجهم.

كرمه وسخاؤه وبذله وعطاؤه:

عرفته عن كثب في دمشق وبيروت على مدى أكثر من 15 عاماً، وعشتُ وإياه عن قرب فيهما خلال عملي معه مديراً لمكتبه، أو مساعداً له في اللجنة التحضيرية لمؤسسة القدس الدولية، وبعد ذلك خلال لقاءاتي العديدة به، وكنت أعرف الكثير من الجوانب المتعلقة بنفقاته الشخصية حيث كان يكلفني أحياناً ببعضها، وكذلك بعض الجوانب المتعلقة بمساعدته وعطاءاته، فرأيت عنده الجود والعطاء والبذل والسخاء، فلا يرد سائلاً من ماله، ولا يمنع محتاجاً من بيته، في الوقت الذي كان يقتر فيه كثيراً في مال الحركة، ولا يعطي السائل منها إلا بالقدر الضئيل، وربما لا يعطي الكثير من مال الحركة، إلى الدرجة التي كان يغضب منه بسبب سياسته هذه الكثير، ولكنه ما كان يأبه إلى غضبهم، ولا يلتفت إلى عدم رضاهم، إذ كان يعتقد

أنه أمين على هذا المال وحافظ له، وسيسأله الله عنه يوم القيامة أين أنفقه وكيف وزعه، ولهذا كان شديداً في مال الحركة، ولا يتساهل في صرفه، ولا يتردد في منعه إن رأى ذلك، كما لم يكن سهلاً في المتابعة والسؤال، وفي الاستفسار والاستقصاء والمحاسبة.

وفي الجانب الآخر رأيته ينفق بلا حساب من ماله الشخصي؛ فخلال رحلاتنا إلى لبنان تحديداً كان يذهب إلى التعاونية فيشتري بعض الأغراض الخاصة بأسرته وبيته، حيث كانت سورية تفتقر إلى الكثير من البضائع والحاجيات المتوفرة في لبنان وغيره.

كنتُ أراه يشتري لنفسه ويشتري لمرافقيه، ولا يخرج من التعاونية حتى يرضي من معه، ويسألهم ماذا تريدون وما الذي ينقصهم، وكنت أراه يدفع عنهم جميعاً، ويسدد الفاتورة من حسابه الشخصي، بالرغم من أن لمرافقيه رواتب وبدلات، ولكنه كان يؤثر أن يكرمهم من ماله، وأن يشتري لهم من حسابه، حيث كان يخجل أن يبدو بينهم مميزاً، وأن يحمل إلى بيته ما لا يستطيعون هم حمله وشراءه.

أما الذين كانوا يسألونه المساعدة من الحركة أو الاقتراض منها، فكان يضيق عليهم ويتشدد في الشروط، ويسأل عن الأسباب ويعرف مدى الحاجة، وعندما كان يشعر بوجاهة الأسباب والدوافع كان يحيلهم إلى الجهات المالية المختصة، أما عندما يكون رأيه عكس ذلك، كان غالباً ما يعطي السائلين من ماله، ويمنحهم من عنده قرضاً وهو يعلم أنهم لن يسددوه، وهو بدوره لا ينتظر سدادهم له، ولكنه كان يكره أن يخرجوا من عنده غاضبين أو غير راضين، وكان يخشى أن يكون قد ظلمهم بقراره الخاص بالحركة، فكان يعوضهم بما يستطيع من ماله الشخصى.

قدرته على جمع الكبار:

إنَّ مما تميز به أبو مرزوق هو قدرته على جمع الكبار، وتشكيل لجان مركزية من شخصيات ذات مراكز علية، فقد ترأس اللجنة التحضيرية لمؤسسة القدس الدولية وفيها أقطاب الأمة العربية والإسلامية وعلى رأسهم فضيلة

الشيخ فيصل مولوي، والأستاذ معن بشور والاقتصادي الكبير رفعت النمر، ود. محمد عويضة، والوزير ميشيل إده، ود. محمد سليم العوا وغيرهم كثير من كبار الشخصيات العربية والإسلامية.

وفي دمشق، إثر الأزمة الكبرى التي عصفت بقيادة حركة حماس في عمّان سنة 2000، شكل د. موسى لجنة عربية وفلسطينية ضمت شخصيات فذة منها د. بشير نافع، ومنير شفيق، ومحمد عويضة، ومروان فاعوري وغيرهم، في محاولة منه للخروج من الأزمة التي مرت بها الحركة، واستطاع على مدى أشهر طويلة أن ينظم عمل اللجنة وأن يدير شؤونها، في الوقت الذي كان الجميع يقبل بقيادته ويسلم بإمرته، اعتقاداً منهم أنه الأقوى والأقدر على إدارة دفة الحياة السياسية الفلسطينية.

قد شُرفت بمشاركته أعمال هاتين اللجنتين، وكنت أرى طريقة إدارته لهما، وكيف أنه كان يجمع الآراء ويفند الأقوال ويرجح بعضها ويضعف غيرها، وقلّ أن يستخدم في حديثهم معه ورقة، بل يستعرض بطريقة منظمة وممنهجة معتمداً على ذاكرته. وبالرغم من ذلك فما كانت تفوته قضية ولا تغيب عنه مسألة، وأذكر أنني كنت أكتب محاضر هذه اللجان، فما رأيت من أحدهم تأففاً أو خروجاً عن نص أو قرار، أو اعتراضاً على شكلٍ أو أوسلوب، بل كانوا جميعاً يشعرون أنهم في حضرة رجلٍ فذ وقيادي بارع.

ذاكرته وحافظته:

لما كنتُ مديراً لمكتبه لسنوات، ومساعداً له سنوات أخرى، فقد كان يكلفني دائماً بالكثير من المهمات، ويلزمني بالعديد من الملفات، بعضها يلزمها اتصالات وأخرى كتابة، وغيرها محاسبية، وغير ذلك من الملفات المتجددة والكثيرة، والتي كنت بصدق أنوء عن حملها، وأشعر بالعجز عن القيام بها لكثرتها. وقد عرفت طريقته في العمل، أنه يكلف العاملين عنده حسب معرفته بقدراتهم، لكنه يكلفهم حتى الحد الأقصى، ولا يخفف عنهم حتى ولو اشتكوا، ولكنه يحاسبهم إن قصروا أو أخطأوا، وقد كانت لديه ملكة المراجعة والنقد وتحديد السلبيات وتعداد الإيجابيات.

كنتُ أحاول في بعض الأحيان تجاهل بعض القضايا لصعوبتها، أو لأنه يلزمها بعض الوقت، فكنتُ لا آتي على ذكرها، وأتمنى أن ينساها أبو عمر، خاصة أن تكليفاته كثيرة ومتعددة ومتشعبة، وعنده الكثير من العاملين، وهو لا يستخدم ورقة وقلماً، وغالباً يكلف من الذاكرة، ويراجع من الحافظة، فكنتُ أحمد الله سبحانه وتعالى أن الجلسة قد انتهت ولم يأت على بعض القضايا التي لم أتمها ولم أتمكن من إنجازها، وكنت غالباً أتهيأ للمغادرة مخافة أن يتذكرها، ولكني وعلى ما أذكر أنني ما نجحت معه يوماً، إذ كان يأتي على القائمة كلها، ولا ينسى منها بنداً صغيراً أو كبيراً، ولا تفوته مسألة ولا تغيب عنه قضية، حينها أدركت أن التناسي معه لا ينفع، والإهمال عنده لا يجدي، فأليتُ على نفسي أن أنجز كل ما يكلفني به، وأن أتمم كل القضايا وألا أترك شيئاً للصدفة.

ولعله بهذا الأسلوب قد علمني، فقد التزمت في حياتي بعده أن أنجز أعمال اليوم في اليوم نفسه، وألا أؤجل أياً منها للغد ولو كان هناك في الغد متسع. وقد كان لطريقته فضل كبير عليّ في تربية نفسي على تمام المهام وإتقان الأعمال كلها، بغض النظر عن وجود الرقيب أو المحاسب. 23

(انتهى كلام اللداوي)

5. شهادة إسماعيل البرعصى:

أما السيد إسماعيل البرعصي (أبو الحسن) فبدأ روايته بقوله: أعرف د. موسى أبو مرزوق منذ أن كان طالباً في الجامعة بمصر، عملتُ معه في مواطن عدة، لم يستَدِنْ في حياته قرشاً واحداً، كان يمتك نفساً عزيزة، وروحاً كريمة. أذكر في إحدى المرات وهو طالب في جامعة حلوان، ذهب مشواراً وبعد أن ترجل من السيارة لم يجد في جيبه مالاً فاضطر أن يرجع إلى البيت مشياً على الأقدام مسافة 20 كم تقريباً. وبعد أن خرج أبو مرزوق من سجن نيويورك سنة 1997 سأل إخوانه عن التكاليف التي تم صرفها تجاه القضية، فكان المبلغ نصف مليون دولار تقريباً، فدفع لإخوانه مليون دولار، أي أنه تحمل تكاليف القضية على حسابه الشخصى وزيادة.

 $^{^{23}}$ مراسلة للكاتب، غزة، مع الدكتور مصطفى اللداوي، بيروت، تشرين الأول/أكتوبر 2018

كان أبو مرزوق يسكن مع شقيقاته حلمية وسميرة، ولكونه أصغر إخوانه من البنين وطالباً، فكان أخوه محمود اللواء المتقاعد²⁴ يرسل له مصروفاً شهرياً. استطاع من مصروفه أن يوفر ثمن شقتين باسمه؛ الأولى كانت في مدينة نصر 14 رابعة العدوية، والثانية في مساكن عثمان شارع عباس العقاد، وبعد أن أنهى أبو مرزوق دراسته في مصر أهدى الشقتين لأخيه محمود، ليعبر عن جميل معروف أسداه إليه وهو طالب، والآن يجلس اللواء المتقاعد محمود في إحداهما والأخرى يستفيد مما تجلب له من الإيجار.

في مصر كان بيته مفتوحاً لجميع الطلاب، ولا يخرج أحد من عنده إلا بعد غداء أو عشاء. كان يحتضن الجميع بشكل أخوي، يُظهر لهم الحب والود، وترى صفات القائد تتقد من بين عينيه وجميع تصرفاته. وكان في كل عيد من أعياد المسلمين يُكرم من يعمل معه ويقدم عيدية لجميع العاملين دون استثناء، ويكرم أخواته وأبناء أخواته من الذكور والإناث.

عمل في الإمارات (حمر العين) في مصنع ألمنيوم على أساس 15% من نسبة الأرباح، وقد حقق المصنع أرباحاً كبيرة في السنة الأولى، الأمر الذي دفع صاحب المصنع أن يستكثر المبلغ الذي خرج به د. موسى وفقاً لنسبة الربح، مما جعله يفسخ العقد ويجلب موظفاً جديداً بدلاً من أبو مرزوق بنسبة تُرضي غروره، وقدر الله سبحانه وتعالى أن يخسر صاحب المصنع في السنة التي ترك أبو مرزوق فيها العمل، مما اضطره أن يتصل بأبي مرزوق حتى يرجع إلى العمل بالنسبة التي يرضى بها وذلك لأن المدير الجديد هرب هو والمحاسب الذي جلبه معه وقد أخذ معه شحنة الألمنيوم المخصصة لسنة، إلا أنَّ الأخير رفض.

عندما كان مسؤولاً عن المكتب السياسي لحركة حماس دُعي إلى اجتماع لمجلس شورى الإخوان السوريين وكان الملف المطروح على الطاولة هو ظلم النظام السوري لكوادر الإخوان وما العمل، وكان بعضهم يتحدث عن ضرورة

 $^{^{24}}$ غيّر اللواء محمود شقيق أبو مرزوق دراسته من كلية الطب إلى الكلية الحربية حتى يساعد أسرته في المعبشة.

الاستمرار في مواجهة النظام وأجهزته المختلفة بقوة النار، فعارض أبو مرزوق هذا التوجه بقوة، وقال إن كل معركة لا تتجه نحو الاحتلال الصهيوني في فلسطين هي معركة خاسرة، وأوضح لهم أنَّ النظام السوري يقف مع المقاومة الفلسطينية ويدعمها، لذلك يجب أن نستثمر هذا الجانب في مواجهة الاحتلال، بالإضافة إلى أن المعارك الداخلية تكثر فيها الدماء ولا منتصر فيها واستخدام القوة ليس من منهج الإخوان المسلمين، والأوضاع الآن في سورية تسمح بإعادة النظر في عودتكم لممارسة دعوتكم في سورية ولو فرادا. هذا الموقف الصريح والواضح من أبو مرزوق علمت به المخابرات السورية في حينه، وبعد تطور علاقة حركة حماس بالنظام السوري، أخبر رئيس فرع فلسطين أبو مرزوق بموقفه السابق، وشكره بقوة على موقفه.

في سنة 1989، عندما تعرضت حركة حماس لضربة شملت أغلب قيادات الحركة وكوادرها العاملة، خاطر أبو مرزوق بنفسه، وسافر إلى داخل فلسطين المحتلة، وأعاد ترتيب المجموعات العاملة، وسد الفراغ الذي حصل، وعادت حركة حماس تضرب الاحتلال وتقارعه بما تملك من قوة الإرادة وعنفوان الصمود.

وفي سنة 1992 أبعد الاحتلال الصهيوني 416 قائداً من قيادات حركة حماس والجهاد الإسلامي، من أجل القضاء على الانتفاضة الفلسطينية ووأد الوعي الفلسطيني من خلال الإبعاد والقتل، كان د. موسى في أمريكا، استنفر جميع كوادر الحركة وخصوصاً في لبنان، وأرسل دعماً مالياً كبيراً، وحجز في القمر الصناعى وقتاً لتغطية أحداث المخيم وفعالياته المختلفة.

انتقل أبو مرزوق بعد أحداث سنة 2011 في سورية إلى مصر، وبعد أحداث سنة 2013 لم يوافق المجلس العسكري على تواجد أحد أعضاء المكتب التنفيذي لحركة حماس في مصر سوى د. أبو مرزوق. بنى منزلاً كبيراً في منطقة التجمع الخامس على حسابه الشخصي، وفي شباط/ فبراير 2014 استلم الدكتور المنزل، وأصبح من يومها حتى الآن مكتباً ومضافة كبيرة لوفود الحركة وكوادرها العاملين.

خرج أبو مرزوق من سورية بسبب تصريحات بعض قيادات الحركة التي دفعت النظام السوري أن يتخذ موقفاً سلبياً تجاه الحركة، وبعد مجيء النظام الجديد في مصر سنة 2013 رفض أبو مرزوق أن يكرر تجربة الخروج من سورية، فبقي في مصر، وتحمل سنة من المعاناة. فقد مكث في بيته من حزيران/يونيو 2013 حتى حزيران/يونيو 2014 وهو داخل بيته لا يخرج إلا لصلاة الجمعة، وبعد ذلك سمحوا له بالسفر، ثم جاء إلى غزة.

كان لأبو مرزوق مزرعة كبيرة في طريق المطار، وكان لديه كل أسبوع كرم حاتمي، فيستضيف الأقارب والأصدقاء، وأهالي الشهداء والجرحى ويُكرمهم كرماً كبيراً، وأذكر قبل أن نُغادر سورية أنه تبرع بمبلغ 110 آلاف دولار أمريكي لصالح أهالي الشهداء والجرحى.

وكان يُساعد من جيبه الخاص أهالي قطاع غزة المحاصرين منذ 12 عاماً، وهنا نذكر قصة 35 ألف دولار تبرع بها لفقراء الناس، بعد أن كانت ذاهبة لشراء جزء من قطعة أرض خاصة به. كان يساعد معظم المرضى المحولين من مستشفيات قطاع غزة للعلاج في الخارج، وخصوصاً الذين أتوا إلى المستشفيات ومكثوا وقتاً طويلاً دون ترتيب مسبق لهذه الأيام. وفي أثناء تواجده في مصر، قام بدراسة مسحية لجميع الأسر الفلسطينية المتواجدة في مصر (كثير منهم عملوا جنوداً في جيش التحرير التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية) فوجد عدداً مهمشاً في إنبابة، وعين شمس، والأحياء الفقيرة في مدينة نصر، فخصص صندوقاً لدعم هذه الأسر التي كانت تزيد عن 500 عائلة، وبدأ بترتيب المساعدات النقدية والعينية في الأشهر والمناسبات السعيدة، وخصوصاً في رمضان والأعياد، وأيام ذي الحجة.

وفيما أحسب أنَّ عدداً من السجناء الزنوج قد أعلنوا إسلامهم تأثراً بأبو مرزوق في سجنه الانفرادي في أثناء مرورهم عنده، ومحاورتهم له.

لا يختلف اثنان عاشروا أبو مرزوق في أنه يمتلك فكراً استراتيجياً كبيراً، وأنَّ لديه ملكة قوية في تحليل الأحداث وربطها للوصول إلى نتائج منطقية، وهذا ما ذهب

التاريخ في تدوينه عندما ذهب إلى إعادة صياغة ميثاق الحركة في بداية التسعينيات، كما ظهر جلياً في سلسلة تحذيرات أطلقها تجاه غزة وملفاتها المختلفة.²⁵

(انتهى كلام البرعصي)

6. شهادة حسنى العطار:

وقد وثق الكاتب والمفكر حسني العطار شهادته بحق أبو مرزوق من خلال مقالة نشرها على مواقع التواصل الاجتماعي تحت عنوان "موسى أبو مرزوق الذي عرفته". بدأ مقالته بالحديث عن طبيعة المرحلة التي أدركها مع أبو مرزوق والمتعلقة بهزيمة 1967، والتي شكلت ضربة قاصمة للفلسطينيين، وحطمت الآمال التي كانت تراودهم في العودة لديارهم في الأراضي المحتلة 1948، والتي عاشوا يحلمون بالعودة لها خلال الـ 19 عاماً، لأن الجهود والتفكير بدأ ينصب في كيفية تحرير الأرض التي احتلت سنة 1967. في الوقت نفسه كانت هذه الهزيمة ضربة قاسية على رؤوس الكثيرين من الذين اعتنقوا الفكر الناصري وسيطرت على عقولهم التجربة الناصرية، فكنت تسمعهم دائماً يرددون المقولات من ميثاق عبد الناصر، ويتحدثون عن النهضة الناصرية والأمل الناصري والجيش ميثاق عبد الناصري والقوة الناصرية التي ستحطم كل قوى القهر والاستبداد، وفي مقدمتها الصهيونية و"إسرائيل".

يقول حسني العطار:

كان أبو مرزوق من الشباب الذين قرأوا الفكر الناصري واقتنعوا به، وروجوه بين أقرانهم، واستمر هذا الأمر من بدايات سنة 1966 حتى الهزيمة النكراء في حزيران 1967، ورؤيته لمئات الجنود المصريين قتلى في المدارس، وفوق تل زعرب برفح. هنا حدثت الهزة التي زلزلت كل شيء في نفسه وفي عقله، فلما هدأت الأحداث، بدأ هذا الشاب يفكر مع أصحابه ما الذي حدث! وكيف حدث! أين ذهب كل الذي كنا نؤمن به ونركن إليه؟ وفي الوقت نفسه بدأوا في البحث عن البديل، واستمر البحث حتى جاءهم فتحي الشقاقي بعنوان البديل، إنه الشيخ أحمد ياسين.

^{.2018} مقابلة أجراها الكاتب مع الأستاذ إسماعيل البرعصي ، غزة ، تشرين الأول/ أكتوبر 25

وبدأت اللقاءات في بيت ياسين بغزة أو في بيت أحد الأخوة برفح في مسجد الهدى، وأحياناً في بيت فتحي الشقاقي، وبدأ الأخوة يتعمقون في الفكر، ويكثرون من القراءة، حتى سافر أبو مرزوق إلى مصر ليكمل الدراسة التعليمية هناك.

أما بقية الشباب فقد تفرقوا كلِّ يبحث عن مكان لدراسته، فكان نصيب فتحي الشقاقي معهد قلنديا في رام الله، وكان نصيبي ثانوية الأقصى الشرعية بالقدس الشريف، وهناك تجدد لقائي بالأخ فتحي الشقاقي، خصوصاً أني سكنتُ في أحد أروقة المسجد الأقصى بجوار باب حطة، والشقاقي سكن في السكن الداخلي لمدرسة اليتيم العربي.

سارت أيام الدارسة سريعة حتى انتقلت لدراسة الفلسفة والعقيدة بالأزهر الشريف في القاهرة سنة 1976، وانتقل الأخ فتحي الشقاقي لمدينة الزقازيق لدراسة الطب في جامعتها، وكان قد سبقني بالسفر بعامين. حينها تجدد اللقاء بيني وبين أبو مرزوق، وكان قد انتقل للسكن في القاهرة بمدينة نصر، رابعة العدوية عمارة 14 شقة 204 الدور الثاني الجهة الغربية، وكانت العمارة مواجهة مباشرة لمسجد رابعة العدوية، وعندما وصلتُ هناك طلب مني السكن معه حتى نجد من نثق بهم لأسكن معهم.

كنتُ والأخ موسى والأخ أحمد يوسف صالح وشاب ثالث لا أتذكر اسمه، كان يدرس في ألمانيا ولكن الحال هناك لم يعجبه فجاء لمصر للدراسة فيها، وكون الأخ موسى كان قد أنهى دراسته وأصبح متفرغاً يبحث عن استكمال دراسته العليا أو العودة للقطاع أو السفر لدول الخليج للعمل هناك، كل هذا سهل علينا أموراً كثيرة في شؤون المعاش.

جاء اللقاء بالأخ موسى بعد فراق سبع سنوات، تغيرت فيها معالم كثيرة في ملامحنا وثقافتنا ورؤيتنا للأمور وطريق تفكيرنا وأولوياتنا، لكن الملاحظ أن الالتزام بالدين عبادة وسلوكاً وأخلاقاً كان على تمامه، فكلما تقدم فينا العمر كلما زاد فينا النضج أكثر. رأيت الأخ موسى أكثر هدوءاً مما تركته من سبع سنوات، أكثر تديناً، أكثر عبادة، أكثر قراءة للقرآن الكريم، كل يوم دون استثناء كنت أصحو

على صوته وهو يتلو القرآن، نذهب للصلاة في المسجد، أحياناً أعود وأحياناً أبقى أقرأ القرآن أو في كتاب من كتب الجامعة حتى الشروق، فأعود للبيت أجد الأخوة يتجهزون للذهاب لجامعاتهم، أحياناً كان الأخ أحمد يحملني معه على "فيزبته" لويزبا Vezba نوع من الدراجات النارية] وكانت من نوع البطة. كانت مهمة إعداد الطعام موكولة للأخ موسى، ونحن علينا غسل المواعين والأطباق وتنظيف المكان. طبعاً نبهني الأخ موسى أنه لا يسمح لدخول الخادمات للبيت، وبالتالي نحن نعتمد على أنفسنا في كل شيء، طعام وغسل ملابس وتنظيف البيت وغيرها.

في المدة التي سكنت فيها مع الأخ موسى وإخوانه الأحباب، كانت من أجمل الأيام، لطف ومحبة وأدب وصفاء وزيارات لإخوة آخرين في أماكن أخرى، من خلالهم تعرفت على الكثير من الأخوة الذين سبقونا بالسفر للدراسة، وعرفت أماكن سكناهم، كان الأخ موسى كتلة من الحركة لا تتوقف ولا تتعب ولا تمل من العمل والزيارات.

لا أتكلم هنا عن العمل التنظيمي والحركي، فهذا مجاله مكان آخر، وقد بين كتابه (د. موسى أبو مرزوق: مشوار حياة) كل ما يتعلق بالعمل التنظيمي، أنا هنا اتكلم عن الجوانب الاجتماعية والإنسانية والأخلاقية في حياته، وكم كان راقياً في كل شيء، يستوعب الآخرين بهدوء وذكاء.

أتذكر أنّه في يوم من الأيام خطر على بالنا أن نأكل مفتولاً، ومؤكد ليس بيننا من يعرف كيفية طهيه وإعداده، فما كان من الأخ أبو مرزوق إلا أن قال لنا: "متى تريدون أكل المفتول؟" قلنا يوم الجمعة، فقال: "لنا أحلى أكلة مفتول يوم الجمعة بإذن الله". وكانت أخته الدكتورة حلمية رحمها الله تسكن في بيت الطالبات، فذهب إليها يحمل ما يلزم لوجبة المفتول، وقال لها نريده جاهزاً يوم الجمعة، وفعلاً جاء يوم الجمعة يحمل معه أجمل وجبة مفتول.

كان الأخ أبو مرزوق شاباً نموذجاً للصدق والوفاء والإخلاص والعطاء، وكل ذلك وغيره كان يبشر بشيء لم يكن واضحاً لنا، لكن كانت عقولنا ونفوسنا مهيأة له، لم يكن من النوعية الانفعالية ولا الغضبية، ولا الانقلابية في سلوكه أو مشاعره، بل كان متزناً وقوراً. أعلم أنَّ مخزون التربية الصحيحة في الصغر هي

التي حفظت الشاب في الكبر، وهي التي أوجدت عنده قاعدة ثابتة من قوة الشخصية وقدرتها على مواجهة الصعوبات.

انتهت مدة إقامتي عند أبو مرزوق والتي استمرت قرابة الشهرين أو أقل بقليل، بعدها انتقلت للسكن مع ابن عمي مصباح العطار وأخ من غزة زميلي في كلية أصول الدين الأخ منصور أبو العوف. استمر التواصل والتزاور بيني وبين الأخ موسى حتى جاء موعد سفره من مصر للعمل. عدتُ لغزة عملت فيها بعض الوقت، لما اشتدت مضايقات المخابرات الإسرائيلية، وكثرت الاعتقالات الإدارية لى، اضطررت للسفر للعمل في ليبيا. 26

(انتهى مقال العطار)

شهادة نضال خضرة: 27.

يقول الأستاذ نضال خضرة، أحد كوادر حركة فتح: في أثناء زيارتي لصديقي أسامة عامر أحد كوادر حركة حماس، ومستشار د. موسى أبو مرزوق نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في القاهرة، ودون ترتيب مسبق التقيتُ بالدكتور موسى أبو مرزوق، وكان هذا اللقاء الأول الذي جمعني به. دخل أبو مرزوق المكتب، فوقفتُ احتراماً وتسليماً، قال له صديقي أسامة: بحب أعرفك يا دكتور على صديق العمر نضال خضرة، ابتسم د. موسى، وقال: أهلاً وسهلاً، فقال أسامة: هذا صديقي نضال يا دكتور من جماعة فتح، فقال الدكتور: إخوة أعزاء، فقاطعه أسامة وقال: نضال لا يحب حماس، حينها اندفعتُ وقلت: لا، بل لا أحترم حماس. توقعتُ أن تكون ردة فعل الدكتور عنيفة فكان العكس، حيثُ بقي مبتسماً، أدركتُ في تلك اللحظة أني تسرعت وأخطأت، فقلتُ متراجعاً: لقد عانيتُ مبتسماً، أدركتُ في تلك اللحظة أني تسرعت وأخطأت، فقلتُ متراجعاً: لقد عانيتُ كثيراً من أذى حماس وتعنيبها يا دكتور، وهذا ما دفعني لقول ذلك، وأرجو أنْ تعذرني، فقال: لاعليك يا أخي، لكن الحب ليس مهماً بقدر الاحترام الذي يجب تعذرني، فقال: لاعليك يا أخي، لكن الحب ليس مهماً بقدر الاحترام الذي يجب أن يترسخ بيننا، ثم قال: دعني أسألك سؤالاً، قلتُ له: تفضل يا دكتور، قال لي:

مقابلة أجراها الكاتب، الدوحة، مع المفكر حسني العطار، غزة، حزيران/ يونيو 2018

مراسلة للكاتب الدوحة، مع الأستاذ نضال خضرة، غزة، أحد كوادر حركة فتح، من خلال الدكتور أحمد بوسف، 2019/5/15.

ألا يوجد شيء حسن تذكره لحركة حماس منذ نشأتها إلى يومنا هذا، على قاعدة قول الله: ﴿وَلاَ تَنسَوُا ٱلْفَضُ لَبَيْكُمُ ﴾ [سورة البقرة، الآية: 237]، فكرتُ في سؤاله، وقلت له: منْ أنا حتى أتجاوز عن حركة قدمت آلاف الشهداء! فقال: إذا أردت أن تحترمنا، تذكر لنا أيّ شيء من هذا الفضل، وإذا قمت باستحضار النية مسبقاً على عدم احترامنا والله لو حررنا لك فلسطين من بحرها إلى نهرها لن تحترمنا، وبعدها أمسك يدي، وقال: لك عندي نصيحة، قلت له: تفضل يا دكتور، قال لي: الحقد والوطنية لا يجتمعان في قلب إنسان، وعليك أن تكون إما وطنياً أو حاقداً، واحرص على أن تكون القدوة الحسنة، وألا تقتدي بالسيئين. واختتم حديثه وأكلاً: أتعلم يا أخ نضال أين المشكلة ؟ قلت له: أين يا دكتور! قال: المشكلة في أنكم صورتمونا بأننا ملائكة ونحن صدقنا ذلك، وانتهى اللقاء. في الحقيقة كان موقفي مع د. موسى أبو مرزوق بمثابة أول درس تلقيته في الأدب السياسي، وكان درساً مهماً في المراجعات التي طرأت على وعيى الوطني بعد ذلك.

(انتهى كلام خضرة)

سابعاً: الوقفة الأخيرة:

"(الكريم يحس نفسه غنيا وائهاً"

(بوبليليوس سيروس)

لم تكن تجربة أبو مرزوق تتمحور حول الشيء المجرد أو الوهم المؤكد، وإنما نقشت في جذور الفكرة عبقاً، وغاصت في أعماقها فهماً، وتنوعت في تفاصيلها عملاً، فقد حاول أبو مرزوق من خلال حركة حماس وأجهزتها المتنوعة أن يبني وعياً إسلامياً، وفهماً سياسياً، وعملاً جهادياً، في نفوس الأمة العربية والإسلامية؛ لقاومة الاحتلال الصهيوني، الذي يعمل ليل نهار على قتل الإنسان الفلسطيني، وتزوير الأرض وهويتها العربية. لقد قاد أبو مرزوق أول مكتب سياسي لحركة حماس سنة 1992، وعمل نائباً لرئيس المكتب السياسي بعد خروجه من سجن نيويورك سنة 1997، وبقي في قيادة صنع القرار السياسي للحركة حتى هذا

التاريخ، وهذا يجعله الأكثر دراية في آليات اتخاذ القرار داخل حركة حماس، والأكثر احتكاكاً برئيس المكتب السياسي السابق الأستاذ خالد مشعل، والشخصيات الدولية والاعتبارية، والأكثر وعياً بمتطلبات القضية الفلسطينية وواجباتها بعد سبعين سنة من الصراع المستمر ضد الاحتلال الصهيوني.

وفي ظلّ هذه المضامين الثلاثة يبدأ أبو مرزوق بتوضيح آليات اتخاذ القرار في حركة حماس بقوله:

حماس مبنية على أساس مؤسسي، وهناك آليات وأدوات مختلفة حسب الاختصاص والدور في كل مسألة تخص الحركة، فالقرار السياسي له آلياته حسب أهمية القرار وموقعه في المسار السياسي سواء كلي أم جزئي، رئيسي أم هامشي، وهناك مؤسسات للدراسة وأخرى لاستطلاع الرأي، وهناك القواعد التنظيمية ورأيها في المسألة المطروحة؛ فبعض القرارات لا بد لها من دراسة وورش عمل واستقصاء آراء، ثم ترفع إلى المكتب المختص الذي يعتمدها ويرفعها إلى القيادة لاتخاذ لقرار بشأنها، وهناك من القرارات ما يستوجب استشارة القواعد التنظيمية، وعلى سبيل المثال مسألة دخول الانتخابات التشريعية، القواعد الدراسة، وتم حيث تم عمل دراسات حول الموضوع بمختلف جوانبه، ثم عُممت الدراسة، وتم استشارة قواعد الحركة في الداخل والخارج، ثم رفع الاقتراح من مختلف المناطق لمكتب الشؤون السياسية، والذي بدوره أقره ورفعه للقيادة التي اتخذت القرار في المشاركة، وأقرت السياسات المصاحبة. 28

أما عن علاقة أبو مرزوق برئيس المكتب السياسي السابق لحركة حماس الأستاذ خالد مشعل، فقد وصفها بما يلي:

امتدت علاقاتي في الحركة الإسلامية بالجيل الأول والثاني؛ فالجيل الأول نُكن له الاحترام لتاريخه الحافل بالمعاناة والصراع، ونُقدر تضحياته التي قدمها، ونستفيد من التجارب التي خاضها عبر سنوات طويلة، فقد تعلمتُ الكثير من هذا الجيل علماً وسلوكاً وأخلاقاً، وكان لبعدهم عن السياسة فوائد كبيرة على وحدة الصف، والالتزام التنظيمي، والترابط الأخوى، والحفاظ على الذات في فترة

 $^{^{28}}$ مقابلة أجراها الكاتب مع موسى أبو مرزوق، $^{2018/11/23}$.



الاستضعاف. أما الجيل الثاني فهو جيل مستكمل ما بدأه السابقون، وأسس من الأعمال ما لم تكن تسمح الظروف السابقة بممارستها أو تسمح لهم إمكانياتهم بأن ينهضوا بها، وعلاقاتي بهؤلاء علاقات أخوية بكل معنى الكلمة، فكنتُ دائماً أحسن الظن بهم، وأميل إلى كسب القلوب على كسب المواقف أو المواقع، وسريع الفيء من الغضب أو الزعل على أيّ من إخواني، وأحب أن أعاملهم بالطريقة التي أحب أن يعاملوني بها، وأقلل من المحاسبة والمراجعة والمعاتبة، وعند خطئي أعتذر ولا أدافع عن باطل أبداً.

أما أخي أبو الوليد فقد تقابلنا في أوائل الثمانينيات ولم أكن أعرفه قبل اللقاء الأول؛ وهو صاحب خلق ودين، عفيف اللسان، طاهر القلب، جياش في مشاعره حباً لإخوانه، مجتهداً في أعماله، وماهراً في كسب الأصدقاء وتحييد الأعداء، وجهده كبير وطاقته على العمل ممتازة، لم يفرقنا منذ تعارفنا شيء وإن اختلفنا فزمن الاختلاف قصير، كان موقفه السياسي في غالب الأحيان الأقرب لموقفي، ومشوار العمل ما زال قائماً وأكثر من أحفظ له قوته في حفظ مصالح الحركة، وقوته في تطبيق قراراتها واحترامه لمؤسسات العمل فيها، وما زال معطاءً في جهده، نفع الله به وأمده بالصحة والعافية. 29

ويصف أبو مرزوق علاقاته مع السياسيين الآخرين من الأحزاب والمنظمات والدول، بأنّها تعتمد على الانفتاح والصراحة، والحرص على المصالح المشتركة، والصدق في التعامل، والابتعاد عن أيّ أوسلوب فيه إحراج أو خداع أو غش مهما كان الهدف. وقد قدم أبو مرزوق وصفاً لأبرز الشخصيات الوازنة التي التقى بها، كما يلي:

الرئيس اليمني علي عبد الله صالح: "ذكي جداً دون تَكلُف، وربما يكون من أذكى رؤساء العرب بالرُغم من إمكانياته المتواضعة في القراءة والكتابة، فقد سألته يوماً عن رجل أراه في كل زيارة للقصر يجلس في زاوية محددة؟ فأجاب دون حرج: إنّه الموظف الذي يقرأ له الجرايد".

 $^{^{29}}$ مقابلة أجراها الكاتب مع موسى أبو مرزوق، $^{2018/11/23}$.



الرئيس العراقي صدام حسين: "الرجل العربي الشهم الشجاع، ومن شدة تطرفه في صفاته العربية الأصيلة، كان يُغلّب العاطفة على الكثير من المصالح السياسية، أذكر أننا طلبنا منه مليوني دولار مساعدة للمجاهدين في فلسطين، فقال: إنَّ المجاهدين لا يُناقشون، واستدعى مدير البنك المركزي، وأمره أن يصرف لنا ما طلبنا".

الرئيس السوري حافظ الأسد: "كان قارئاً جيداً للتاريخ، وحافظاً لتفاصيله المهمة، وقادراً على استحضار مواقفه المناسبة، في الحقيقة كان محاوراً جيداً واستراتيجياً، ومن الصعب معرفة ما يفكر به لأن ملامح وجهه لا تتغير على الإطلاق".

الرئيس الليبي معمر القذافي: "كان يعتد بنفسه كثيراً، فقد كان لا ينظرُ إلى مُتحدثه إطلاقاً، بل ينظر إلى الأعلى دائماً".

الرئيس المصري الأسبق محمد أنور السادات: "كان الأجرأ في اتخاذ القرارات السياسية الصعبة سواء وافقته أو خالفته، فقد طرد الخبراء الروس، وزار الكنيست الإسرائيلي، وحطم مراكز القوى، ووقع اتفاقية كامب ديفيد، وخاض معارك 1973، كل هذه القرارات لم تكن سهلة على أي زعيم".

الملك حسين: "كان سياسياً بامتياز، ولكنه كان بارعاً في كسب الأصدقاء، وتحييد الأعداء، وتوظيف الخصوم".

اللواء المصري عمر سليمان: "كان حريصاً على المقاومة وديمومتها، لذلك لم يحُلْ بيننا وبين السلاح، كان يغض الطرف عن الكثير من عمليات تهريب السلاح، وكان ينصح عرفات بالمحافظة على حماس، وألا يُواجهها ألبتة، لأنها قد تكون ذخراً استراتيجياً له في حال فشلت المفاوضات وأساليبها المتبعة، وكان لا يرغب في انضمام حماس لمنظمة التحرير أو للسلطة الوطنية، لذلك انزعج كثيراً عندما فازت حماس في انتخابات 2006، وكان يُعبر عن ذلك بقوله: "أنا الآن كبالع السكين لا عارف أبلعها، ولا عارف أخرجها". صحيح أنه لم ينجح بتطويع حماس كخيار

استراتيجي يخدم رؤيته في التسوية السياسية، لكنه كان أحد الذين سكتوا عن تطوير قدراتها العسكرية".³⁰

الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله: "شخصية قريبة إلى القلب، خطيب ممتاز، وسياسي بارع، لم أشاهده يوماً في خط مواجهة مع الفلسطينيين".

الرئيس السوري بشار الأسد: "لم يكن عليه خلاف في بداية الأحداث، أحدث تغييراً في سورية أرضى به الشعب، لكنه لم يستطع إنفاذ الحل السياسي للأزمة".

المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين محمد بديع: "المظلوم الأكثر في الصحافة المصرية". 31

كما التقى أبو مرزوق برؤساء جنوب إفريقيا المتعاقبين، ورؤساء سابقين مثل جيمي كارتر Jimmy Carter، وتوني بلير، وأعضاء من الكونجرس الأمريكي؛ كانت بعض اللقاءات بهدف فهم حماس، وأخرى إلى بلورة مشروع سياسي يُحقق السلام في المنطقة، ولقاءات من أجل التعارف وتدعيم الصداقات، وأخرى لرسم العلاقات السياسية في الملف الفلسطيني. وهذا ما قامت به روسيا عندما استضافة حركتي حماس وفتح مرات عدة، لإنجاز المصالحة الوطنية؛ بالتأكيد هذه اللقاءات لا تأتي إلا حسب الظروف السياسية التي تنسجم مع مصالح الدول المختلفة.

وفي موضوع أقصر الطرق وأفضلها للتخلص من الاحتلال الصهيوني وعذاباته، يقول أبو مرزوق:

معادلة الصراع قاسية بالنسبة لنا لأسباب عدة؛ أولها ما يتعلق بالمعادلة الصفرية بيننا وبينهم في بقعة صغيرة، هناك صراع حول المسجد الأقصى، وهو الأقصى عندنا أم الهيكل عندهم، وحول الأرض أهي لنا ورثناها أباً عن جد ولا نرضى بغيرها ولا بديل عنها إلا هي، أم أنها وعد الرب لهم وكأن الرب هو لهم دون غيرهم، وأنه مالك عقارات يهب هذا ويمنع هذا، وحتى التراث الشعبي من

^{.2018/11/23} مقابلة أجراها الكاتب مع موسى أبو مرزوق، 2018/11/23.

مقابلة أجراها طوني خليفة مع الدكتور موسى أبو مرزوق، الجزء الثاني، قناة القاهرة والناس، "أجرأ كلام،" 2013/5/19.

المأكل والملبس أصبح محلاً للتزييف والتبديل وادعائهم بأنَّ هذا تراثهم، فهم ليسوا استعماراً تقليدياً غلبت مصالحه في البقاء، وإن كانت مشاريعه كبيرة. هذا من جانب، ومن جانب آخر موازين القوى فهي لصالح عدونا على كافة الصعد، سواء كان ذلك في مساحة السلاح أم المال أم العلاقات السياسية والديبلوماسية. ثالثاً صراعنا بلا شكّ يأخذ طبيعة متعددة؛ فإن قلت أنه صراعٌ حضاريٌ فأنت مصيب، وإن قلت بين الإسلام والمسيحية وإن قلت بين الإسلام والمسيحية الغربية واليهودية الصهيونية فأنت مصيب، وإن قلت بين الفلسطينيين والعرب من جانب واليهود من جانب آخر فأنت مصيب، ولأشف قاعدتك وحاضنتك في الصراع منقسمة الآن ولها نظرتها ووجهات نظر مختلفة في إدارة الصراع، إن كان هناك صراع في وجهة نظرنا، والجهة الأخرى متماسكة حول وجود ومستقبل "إسرائيل". إنهم يخوضون حرباً عالمية من أجل وجود الكيان ومستقبله، ولِفهم هذه المعادلة يجب أن تخوص الصراع وأنت تعرف عدوك.

وعليه، فإنني أستطيع تلخيص أقصر الطرق وأفضلها للتخلص من الاحتلال بما يلى:

أولًا: وحدة الشعب الفلسطيني والحفاظ على برنامج سياسي تحرري واحد في مختلف أماكن تواجده.

ثانياً: أن تستمر مقاومة الشعب الفلسطيني، فالاستقرار في أيّ مرحلة ليس في صالح شعبنا، وإبقاء المواجهة وعدم الاستقرار يعمل بصورة مباشرة على إضعاف الكيان وإرهاقه.

ثالثاً: إجماع الحاضنة للمشروع واصطفافها مع القضية الفلسطينية.

رابعاً: إضعاف حبل الناس وتأييدهم للكيان الصهيوني من الحكومات والشعوب العربية خاصة، لأنَّ حبل الله قد انقطع وحبل الناس هو الذي ضمن قوتهم ومستقبلهم حتى الآن.

وعند اكتمال ما نحن عليه لن يبقى للكيان قائمة بإذن الله. 32

 $^{^{22}}$ مراسلة للكاتب مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/أكتوبر 2018 .

مستقبل القضية الفلسطينية:

نحن موقنون بوعد الآخرة وأنَّ الله ناصر عباده المؤمنين، وعلينا الاجتهاد فيما تمّ ذكره في السؤال السابق، وسيكون المستقبل لنا إن شاء الله. ولكن من الناحية الحالية والواقعية، فنحن على خطر عظيم إذا بقيت الأوضاع على ما هي عليه، حيث برنامج السلطة ينهار ولا ترى عدواً لها سوى حماس، وتخشى السلطة أن تغيب عن المشهد بسبب فشلها في برنامجها الذي يواجه طريقاً مسدوداً، وترى أنَّ الوطنية مربوطة بمواقفها، وإذا اتخذت موقفاً فهو الموقف الوطني وغيرها في خانة الخيانة والعمالة والتخريب، وتتعاون مع الاحتلال الذي ينتهك المقدسات ويسرق الأرض ويهجر الشعب، وترفض التعاون والشراكة مع الحكومات الوطنية الحقيقية، ولا ترى في الفصائل إلا ما هو تابع بلا تفكير أو بعيد بلا تأثير. فلذلك المستقبل مرهون بإصلاح الوضع الفلسطيني الداخلي من وحدة الموقف الفلسطينية، ونبذ الخلاف والشقاق، ومشاركة الكل الفلسطيني في معركة المستقبل والصراع الحالي، والتوافق على برنامج وطني واحد على رأسه المقاومة، ومقدساته ومقوقه. قم عدة

344

 $^{^{33}}$ مراسلة للكاتب مع الدكتور موسى أبو مرزوق، تشرين الأول/ أكتوبر 2018

Dr. Musa Abu Marzuq: In Depth A Reading in Activism and Political Thought

هذا الكتاب

للمذكرات قيمة علمية كبيرة في الدراسات التاريخية والسياسية، وهي عادة ما تغطي جوانب مهمة لا تغطيها المصادر والمراجع المعتادة. فهي تسلط الضوء على خلفيات المواقف السياسية والقرارات، وتوفر معلومات مهمة لفهم بيئة الحدث، وتكشف طبائع الأشخاص، وتأثير العلاقات الإنسانية في حركة التاريخ، وتُفسر الكثير من المواقف الرسمية، وما يحدث خلف الكواليس. وهو ما يُعبِّر عنه هذا الكتاب بشكل تام.

يتضمن هذا الكتاب مشوار حياة د. موسى أبو مرزوق، أول رئيس للمكتب السياسي لحركة حماس، وأحد أبرز مؤسسيها وقيادييها، من حيث الرؤية والمواقف السياسية، والمسيرة النضالية الوطنية بتشعباتها الفلسطينية والعربية والإسلامية والدولية خلال الفترة 1997-2017.

وتُشكِّل هذه المذكرات إضافة نوعية ليس فقط لتجربة حركة حماس، التي جمعت بين صلابة المحافظة على الثوابت ومرونة العلاقات السياسية، وانفتاحها على القوى المختلفة، وفكرها الإسلامي الوسطي المعتدل، وإنما لتاريخ فلسطين الحديث والمعاصر، لما تتضمنه المذكرات من تفصيلات حول الأوضاع الداخلية الفلسطينية، والصراع مع العدو الصهيوني، والعلاقات والمواقف العربية والإسلامية والدولية.

هذا الكتاب يعرض الجزء الثاني من مذكرات د. أبو مرزوق، والتي كان جزؤها الأول بعنوان "ذكرياتُ اللجوء والغُربةِ وسنواتُ النضال 1951-1997".





مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations ص.ب.: 45-34 بيروت - لبنان علفون: 4961 1 803 644 | علفاكس: 4961 1 803 644 | info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

